

الاعتدال على الجرحين الشريفين عبد التاريخ

د. عبد المنعم الرافعي (مجمع)

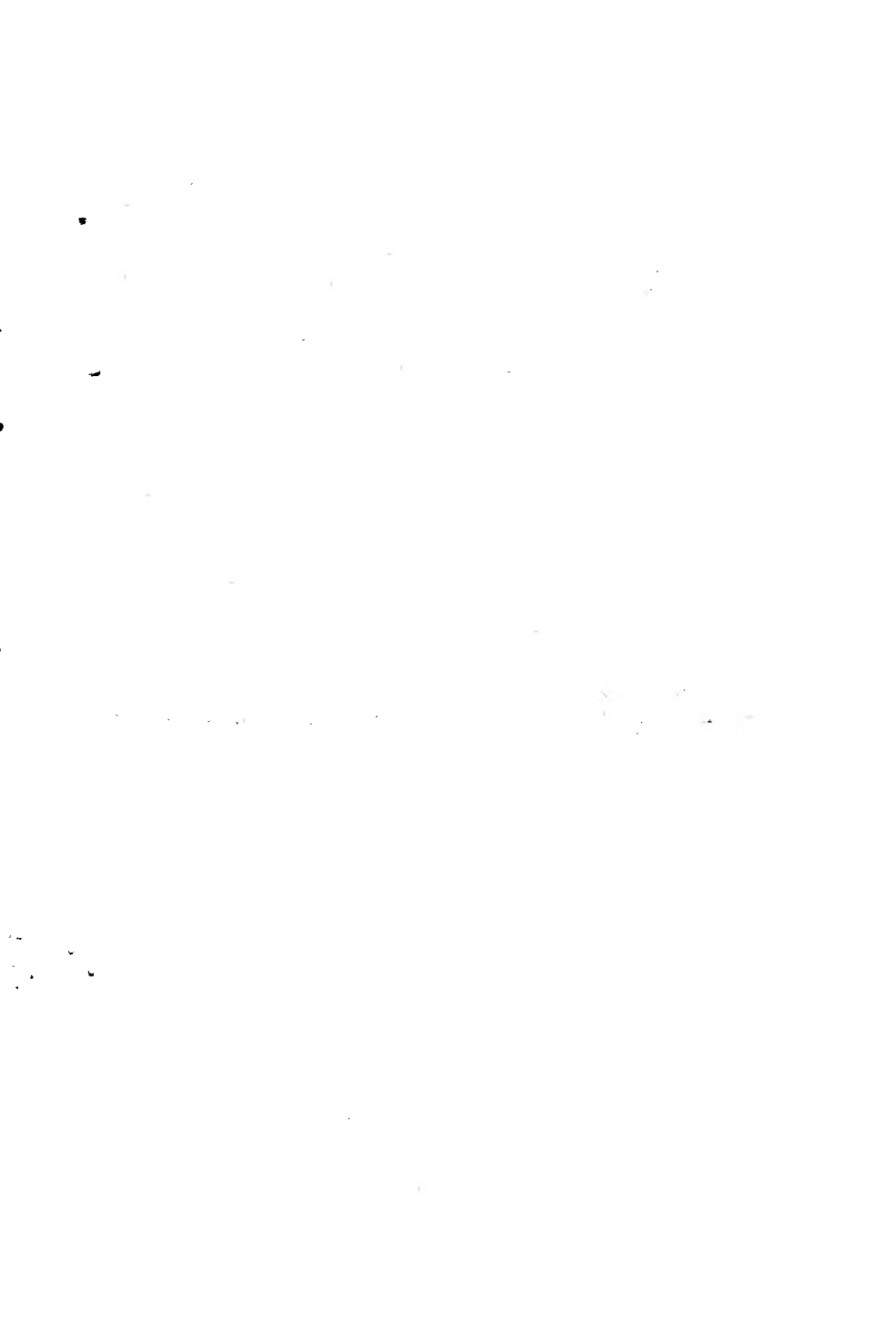
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

د. سَعِيد بن حسين عجمان

أستاذ التاريخ الاسلامي المشارك

الطبعة الأولى

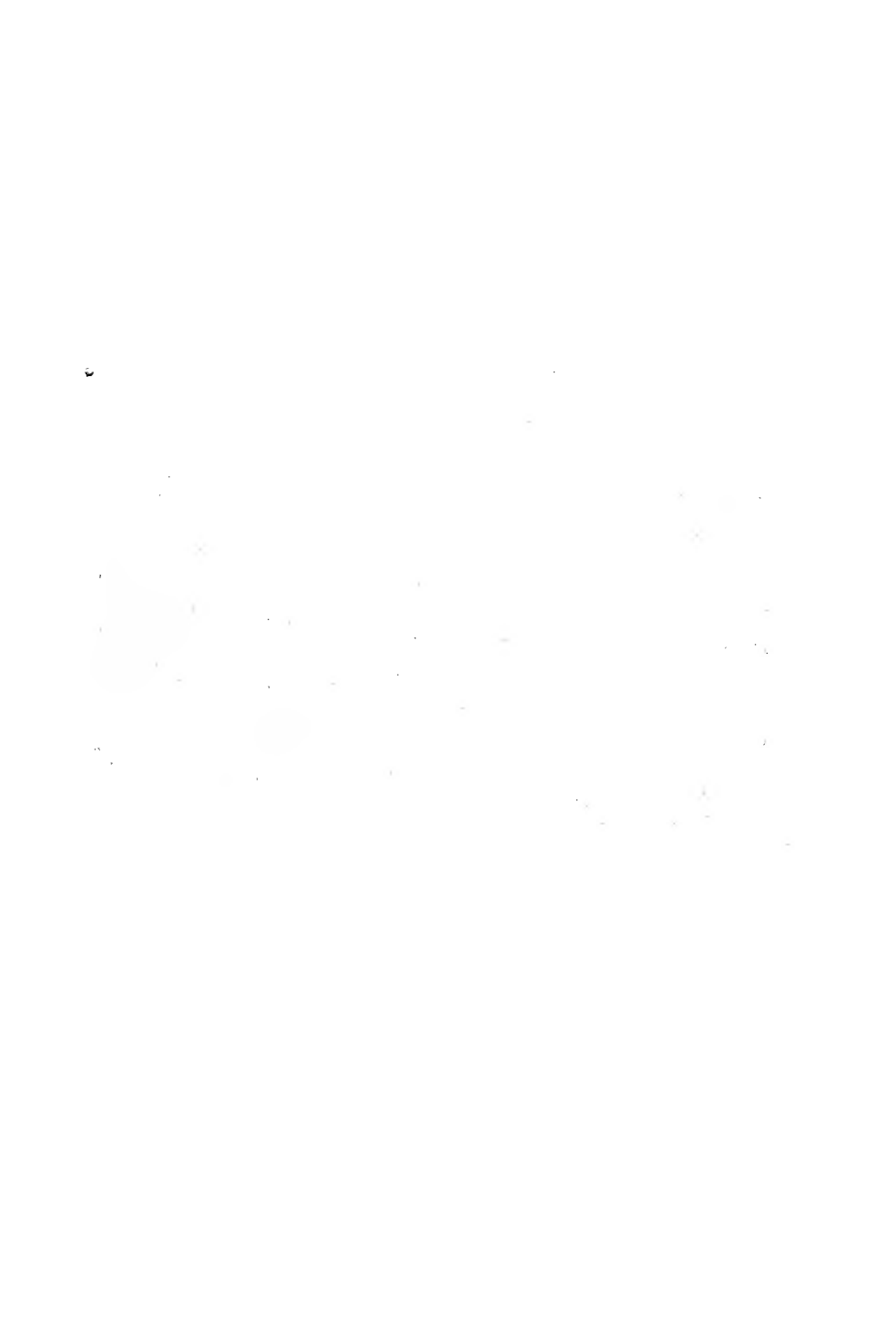
١٩٩٢



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصْلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ لُدِقَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَظِيمٍ • وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ • وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ • لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ الْغَنِيِّ • ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾

سورة الحج الآيات ٢٥ — ٢٩



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذى جعل المسجد الحرام مثابة للناس
وأمانا وملاذا للإسلام وحصنا وشرف أم القرى مكة به
وجعلها بلدا حراما ، وكرم المدينة المنورة بأن أعز فيها دينه
وجعلها معقلا للإسلام ومنارة للمسلمين •

فالمسجد الحرام هو أول بيت وضعه الله تعالى لعباده
المؤمنين يحيطون به فى طوافهم ويجعلونه قبلتهم ، وهو
موضع التقديس والاجلال من جميع المؤمنين فى جميع
العصور والى أن يرث الله الأرض ومن عليها •

والمدينة المنورة بها المسجد النبوى أحد المساجد الثلاثة
المميزة فى الأرض ، والذى تهفو قلوب المسلمين اليه ، وتنعم
بالصلاة فى روضته الشريفة •

وعلى الرغم من ذلك فقد تعرضت المدينتان المقدستان
والحرمان الشريفان : وبيت الله وحرم رسوله لاعتداءات

غاشمة على مر العصور من شرادم من البشر لم تتورع عن
الاساءة الى مقدسات المسلمين ، والاعتداء على ضيوف الله
الآمنين من الحجاج والمعتمرين والمزائرين •

ولما كانت المكتبة العربية تكاد تخلو من دراسة
متكاملة عن الاعتداءات على الحرمين الشريفين ، فقد وجدنا
انه من الخير أن نقدم هذه الدراسة التى تغطى كل جوانب
الموضوع تقريبا حتى يتعرف أبناء الأمة الاسلامية على أعداء
الملة والدين ويكونوا على حذر دائم لما يدبره هؤلاء من مكائد
تصل أحيانا الى حد الاعتداء على حرمان الله •

وقد قسمنا هذه الدراسة الى ثلاثة أقسام تتبع القسم
الأول منها الاعتداءات على الحرم المكى قبل الاسلام وهى
خمس بدأت بمحاولة أسعد أبو كرب الحميرى الشهير بتبع
فى أواخر القرن الثالث الميلادى وانتهت بمحاولات قيصر الروم
لتنصيب أحد النصارى العرب ملكا على مكة المكرمة وفشلها
وقد قام الباحثان بجمع مادة هذا القسم وكتابته •

وتناول القسم الثانى الاعتداءات على الحرمين الشريفين
فى العصر الاسلامى ، وقد سجلت هذه الفترة محاولات عدة
كان أبرزها ما حدث خلال الحكم الأموى والعباسى والفاطمى

والأيوبى من اعتداءات على الحرمين الشريفين سواء أكانت هذه الاعتداءات مدبرة من جماعات أو من أفراد والتي كان من أبرزها قدوم « مسلم بن عقبة المرى » الى المدينة والايقاع بأهلها فى « وقعة الحرة » وضرب الحجاج بن يوسف الثقفى للكلعبة بالمنجنيق ، وعدوان القرامطة على بيت الله الحرام ونقلهم للحجر الأسود خارج مكة ، ومحاولات نبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم على يد بعض النصارى فى عهد نور الدين محمود • وقد انفراد بجمع مادة هذا القسم وكتابه الدكتور سعد عثمان طبقا لتخصصه فى التاريخ الاسلامى وحضارته •

أما القسم الثالث فقد تناول الاعتداءات على الحرمين الشريفين فى العصر الحديث •

وقد عدد هذا القسم الاعتداءات على الحرمين الشريفين منذ العصر العثمانى وحتى الوقت الحالى ، وأبرز ما تناوله محاولات النصفوين تحويل الحج من مكة الى مشهد ومحاولات البرتغاليين التآمر لهدم الحرم المكى والعدوان على مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمحاولات التى حدثت فى الأعوام من ١٤٠٠ الى ١٤٠٩ هـ من قبل فئة باغية بقصد ترويع الحجاج واثارة الرعب فى الأماكن المقدسة وقد انفراد بكتابة هذا القسم الدكتور عبد المنعم الجميى طبقا لتخصصه

فى التاريخ الحديث والدراسات المعاصرة وبالنسبة للمخاتمة
فقد جاء بها أهم ما توصلت اليه هذه الدراسة من نتائج •

أما عن المصادر والمراجع التى اعتمدت عليها هذه الدراسة
فهى فى جلها مصادر أصلية وقد أفردنا لها ثبثا فى الصفحات
الأخيرة من الكتاب •

والحقيقة ان هذه الدراسة خلاصة جهد صادق لانبغى
منه الا وجه الله تعالى •

نسأل الله تعالى أن يسدد خطانا على الطريق وأن يلهمنا
الهداية والتوفيق وأن يوفقنا دائما الى العمل النافع
المفيد :

المؤلفان

د • عبد المنعم الجميعى

د • مسعد عثمان

الفصل الأول

الاعتداءات على الحرم المكي قبل الاسلام

ان وجود بيت الله الحرام فى مكة المكرمة لم يكن ليرضى الكثير من أرباب الديانات الأخرى كالنصارى ، كما انه لم يكن ليرضى بعض الحكام المجاورين لمكة خصوصا وأن مكة تمتعت بمركز دينى لا يعطوه أى مركز آخر فى بلاد العرب ، كما أن رعاياهم كانوا يذهبون الى الكعبة خاشعين يعظمونها ويغدقون بالعديد من الأموال على أهل مكة ونتيجة لذلك فكر العديد من ملوك اليمن وحكام الحبشة فى الاستيلاء عليها اما رغبة فى المنفعة المادية حيث كان الحج الى مكة مورد دخل كبير لأولئك الذين يسكنونها كما أنه كان يرد عليهم بالعديد من المنافع ، أو رغبة فى هدمها والقضاء على مكانتها غيرة وحسدا خصوصا وانها صارت ذخرا للعرب وجعلت لهم مكانة فريدة ، وقومية مميزة (١) •

ونتيجة لذلك تتابعت الحملات على مكة ، واختلفت خطط

(١) أحمد عبد الغفور عطار : الكعبة والكسوة منذ اربعة آلاف سنة حتى اليوم ، مكة المكرمة ١٣٩٧ هـ ص ١٠٥ .

تباينة^(٢) اليمن تجاهها فبعضهم يريد هدم الكعبة وتخريبها مثل
تبع الأول فتصدده القبائل المحيطة بالحرم خصوصا خزاعة
وقريش ويعود الى بلاده مقهورا مدحورا^(٣) وبعضهم يدنو
من الكعبة لتعظيمها واستجلاب بركتها • ثم توالى الحملات
على مكة ، وشهدت الكعبة المشرفة قبل ظهور الاسلام عدة
محاولات للاعتداء عليها كان أبرزها ما حدث فى أواخر
القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلاديين عندما حاول الملك
أسعد أبو كرب الحميرى المعروف بتبع اليمنى التعرض للكعبة
والقيام بهدمها بعد أن أوغر صدره عليها قوم من هذيل من
بنى لحيان بقولهم له أن بمكة بيتا تعظمه العرب وتقد اليه
وتتحر عنه ، وأن قبيلة قريش هازت المجد والشرف نتيجة
للاشراف عليه ، وطالبوه بأن يبنى بيتا آخر باليمن حتى يحوز

(٢) يطلق اهل الأخبار لقب تبع على الملوك الذين حكموا
اليمن ، وعلى مجموعهم التبابعة .
جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام الجزء
الثانى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠
ص ٥١٣ .

والجدير بالذكر ان اسم تبع ورد فى القرآن الكريم مرتين
مرة فى (سورة الدخان) آية ٣٧ ، ومرة فى (سور ق) آية ١٤ .

(٣) أمينة الصاوى : الكعبة المعظمة ، القاهرة ، مكتبة
الخانجى ١٩٧٦ ، ص ٦٨ .

ما حازته قريش ويقوم بهدم الكعبة^(٤) . وسلب ما فيها من
لؤلؤ وياقوت وذهب وفضة ويتجه الملك الحميري بجيوشه
الى مكة لتنفيذ ما أراد ولكنه سرعان ما يعدل عن فكرته .

وتختلف الروايات فى الأسباب التى دفعته الى ذلك
فبعضها يقول أن سبب عدول ملك حمير عن هدم الكعبة يرجع
الى هبوب ريح صرصر عاتية أطاحت بخيام جنوده مما جعل
الرعب يدب فى نفوسهم وجعل ملكهم يخشى نذير رب الكعبة
فعدل عن الشر الذى نواه بالبيت العتيق ، وقدم اليه طائعا^(٥)
وبعضها يقول أنه بعد قدوم تبع لغزو مكة نصحه بعض أحبار
اليهود بأن اقدامه على هدم الكعبة سيكون فيه هلاكه لأنها
بيت الله عز وجل الذى اتخذها لنفسه فى الأرض^(٦) غير أن
المشركين حولوه الى بيت لعبادة الأوثان والأصنام والشرك
بالله^(٧) ، كما أنبأوه باقتراب ظهور نبي من مكة وهو المصطفى
صلى الله عليه وسلم وسرعان ما تأثر بما سمعه .

(٤) فؤاد على رضا : أم القرى مكة المكرمة ، بيروت ،
مكتبة المعارف ١٩٧٢م ص ٢٢٠ .

(٥) أحمد عبد الغفور عطار : المرجع السابق ص ١٠٤ .

(٦) محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن
الكريم — بلاد العرب الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود
الاسلامية ١٤٠٠هـ ص ٢١١ .

(٧) جواد على : المصدر السابق د ٣ ص ٤٢١ .

ونتيجة لذلك عدل تبع عن الشر الذى كان يحمل له فى نفسه تجاه الكعبة ، وقدم الى بيت الله طائعا وكسا الكعبة «الانطاع والبرود»^(٨) وطاف بالبيت العتيق ونحر الذبائح عنده وحق رأسه ، وأقام بمكة ستة أيام ثم عاد الى اليمن^(٩) .

وعند تحليلنا لهذا الحادث وما أحاط به من روايات نجد أنه اختلط بالاسرائيليات التى أوردها بعض الاخباريين دون تمحيص والا فما كان اليهود بأحرص من العرب فى الحفاظ على بيت الله الحرام^(١٠) ، كما ان بعض هذه الروايات أظهرت قوم هذيل من العرب وكأنهم غير مدركين لحرمة وقيمة الكعبة، مع أن هذيل كانت من القبائل العربية التى تحج الكعبة وكانت تلبيتها « لبيك عن هزيل قد أدلجوا بليل فى ابل وخيل »^(١١)

(٨) أبو الحسن المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد — د ١ ، القاهرة ، المكتبة التجارية الطبعة الرابعة ١٣٨٤ هـ ص ٦٩ .

(٩) مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المكتبة التاريخية ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ص ٣٥٦ .

(١٠) مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص ٢١٣ .

(١١) أحمد بن أبى يعقوب : تاريخ يعقوبى د ١ ، بيروت ، دار بيروت للطباعة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٢٥٥ .

وبالنسبة لصدق اليهود القول مع تبع بعدم هدم الكعبة فقد يرجع الى خشيتهم من حدوث الضرر به خصوصا وانه كان قد أعلن يهوديته^(١٢) ، كما أن أهالي حمير كانوا قد دخلوا اليهودية^(١٣) .

أما ما قيل عن طواف تبع بالكعبة ونحره عندها وتعظيمه لها فيرى أحد المؤرخين أن الهدف من ذلك هو رفع شأن القحطانيين إبان النزاع السياسى بينهم وبين العدنانيين وذلك بإظهار تبع وقومه بأنهم أول من عرف الأخبار من نبي الاسلام محمد عليه السلام ، وأول من آمنوا برسالته ووقفوا على اسمه ، وذلك قبل ميلاده بمئات السنين وأول من عرف قدر مكة وانهم طافوا عند البيت وكسوه وبهذا يتحقق لهم الفخر على منافسيهم من العدنانيين^(١٤) .

والحقيقة أن القرآن الكريم لم يثبت أن قوم تبع آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم بل وصفهم بأنهم كذبوا بالرسول

(١٢) كان ملوك اليمن يدينون بعبادة الأصنام ، ثم دانوا بدين اليهود عندما ذهب اليهم بعض أحبار اليهود وعلموهم الديانة اليهودية ، انظر اليعقوبى : المصدر السابق د ١ ص ٢٠٠ .

(١٣) جواد على : المصدر السابق د ٢ ص ٥١٤ .

(١٤) مهران : المرجع السابق ص ٢١٤ .

أجمعين فقال تعالى : «وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب
الرسال فحق وعيد» (١٥) .

وقال تعالى : «أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم
أهلكناهم انهم كانوا مجرمين» (١٦) .

يضاف الى ذلك انه اذا كان تبع قد آمن باليهودية فكيف
يأتى الكعبة ويقدم القرбан لها ويكسوها (١٧) ويخلق رأسه
وهو على غير دين أهلها ، مع ان العرب لا تقر لليهود بدخول
الحرم وهم على يهوديتهم لعدم التوافق فى العبادة بينهما .

أما قول اليهود بأن العرب نصبوا الأوثان حول الكعبة
وأن كل قبيلة اتخذت لها صنما هناك يصلى أفرادها حوله فهذا
مراء يهودى عرف على مدار التاريخ فقد وجدناهم بعد
حادثة فلق البحر ، وعند خروجهم منه رأوا اناسا يعبدون
أوثانا فقالوا «ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة» (١٨) ،
ولما تركهم موسى وذهب لمقابلة ربه ، صنعوا وثنا وهو
العجل .

(١٥) سورة ق ، الآية ١٤ .

(١٦) سورة الدخان ، الآية ٢٧ .

(١٧) جواد على : المصدر السابق ج ٤ ص ٥١٤ .

(١٨) سورة الأعراف ، آية ١٣٨ .

وأما عن اراقة العرب للدماء حول الكعبة قبل الاسلام فهو أقل تأثير من قتل اليهود للأنبياء ، هذا الى جانب أن المكين جعلوا للكعبة هبة خاصة في نفوسهم أبعدتها عن العديد من الحروب التي كانت تقوم بين القبائل •

وعن المحاولة الثانية من سلسلة محاولات الاعتداء على الحرم المكي في العصر القديم فقد كانت محاولة « حسان ابن كلال » الذي أقبل من اليمن في حمير وقبائل من اليمن يريد نقل أحجار الكعبة من مكة الى اليمن ليجعل حج البيت في بلاده وهناك وعند نخلة^(١٩) خرج له القرشيون بقيادة فهر بن مالك ، ودارت بين الفريقين معركة ضارية كان النصر فيها للقرشيين والفشل الذريع لحسان ورجاله^(٢٠) •

وانتهى الأمر بالقضاء على هذه الحملة وأسر حسان بن كلال في مكة مدة ثلاث سنوات^(٢١) •

وبالنسبة للمحاولة الثالثة فهي التي قامت بها قبيلة

(١٩) نخلة : موضع على مسيرة يومين من المدينة ورد ذكرها في سرية عبد الله بن جحش انظر : عاتق بن غيث البلادي معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية . دار مكة ، الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ص ٣١٧ •

(٢٠) مهران : دراسات تاريخية من التاريخ القديم ص ٢١٥ •

(٢١) مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ص ٣٦٠ •

غطفان فى شمال الحجاز فى القرن الأول قبل الهجرة والتي كان أفرادها يعبدون «العزى» ، وكانوا قد بنوا عليها بيتا ، وأقاموا لها سدنة^(٢٢) كما كان لهم صنم فى مشارف الشام يقال له الأقيصر كانوا يحجون اليه ويحلقون رؤوسهم عنده وبنوا بيتا سموه بساء مضاهاة للكعبة فيطفون حوله^(٢٣) .

وقد حاول هؤلاء صرف أنظار العرب عن الكعبة ولكن سيدا من سادات قريش اعترض عليهم بقوله « لا والله لن يكون ذلك أبدا » واتبعه قومه حين قال لهم « ان أعظم المآثر التى ندخرها عند العرب ان تمنع غطفان من عرضها » ، وقاتل غطفان وظفر بهم وأبطل حرمهم^(٢٤) .

وعن المحاولة الرابعة فهى تلك التى قام بها أبرهة الحبشى فى حملته المشهورة على الكعبة المشرفة عام ٥٧١م والتى خلدها القرآن الكريم وأسهمت المصادر التاريخية فى الحديث عنها وموضوعها أنه بعد أن بنى أبرهة القليس^(٢٥) بصنعاء وأراد أن يصرف حج العرب إليها^(٢٥) بعد أن جعلها تحفة

(٢٢) رضا كحالة : معجم قبائل العرب ص ٨٨٩ .

(٢٣) مهران دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص ٢١٦ .

(٢٤) مشتقة من الكلمة اليونانية الكليزيا Ecclisia

ومعناها كنيسة .

(٢٥) عبد السلام هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ، القاهرة

المؤسسة العربية الحديثة ، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م .

من تحف البناء والعمارة^(٢٦) ، ولا تقل روعة عن كنيسة
أيا صوفيا فى القسطنطينية ثارت حفيظة العرب عليه وأخذوا
يضمرون الشر له ولكنيسته •

وقد اختلفت الأقوال فى السبب الذى أثار حفيظة أبرهة
على العرب ورغبته فى الانتقام منهم وهدم الكعبة فقليل ان
رجلا من أهل كنانة دخل القليس وعبث بأثاثها وقعد فيها
ثم قام بتلطيخها بالقاذورات والأوساخ •

ولما أخبر أبرهة بذلك وقيل له أن الذى انتهك حرمة
القليس هو رجل « من أهل هذا البيت الذى تخجه العرب
بمكة لما سمع بقولك انك تريد أن تصرف حج العرب
الى بيتك هذا »^(٢٧) غضب أبرهه وأقسم ليسين الى
الكعبة حتى يهدمها وليحملن العرب على أن يحجوا الى
كنيسته بالسيف^(٢٨) •

وقيل أن بعض العرب أججوا نارا فحملتها الريح الى

(٢٦) امينة الصاوى : الكعبة المعظمة ص ٨٥ •

(٢٧) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ج ٢ بيروت ، مكتبة

المعارف ، الطبعة الثالثة ١٩٧٩ ص ١٧٠ •

(٢٨) على الخربوطلى : تاريخ الكعبة ، بيروت ، دار

الجيل ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ص ٨٣ •

القليس وأحرقتها مما أثار ثائرة أبرهة (٢٩) وجعله يصمم على السير الى مكة وهدم الكعبة ودكها دكا (٣٠) .

وقد دفعه ذلك الى تجهيز جيش كبير اختلف الرواة فى عدده وتعداده وأحضر معه فيلا ضخما كبير الجثة سمته الروايات « محمود » بعثه نجاشى الحبشة اليه للقيام بتلك المهمة (٣١) .

والواقع أن الرواة أغفلوا حقائق هامة فليس من المنطقى أن تقوم حملة كبيرة كهذه ، وتقطع مئات الكيلو مترات بسبب قيام رجل بانتهاك حرمة القليس أو باحراق جماعة من العرب لجزء منها بل يجب أن يكون السبب أهم من ذلك وأكبر ، وان تكون فكرة غزو مكة هدفها أعمق من ذلك .

فالحقيقة أن الدافع الرئيسى لذلك كان دافعا دينيا وسياسيا واقتصاديا معا .

(٢٩) الحافظ أبى الطيب تقى الدين المكى : شفاء الفسرام بأخبار المسجد الحرام ، د ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ص ١٨٩ .

(٣٠) جواد على : المصدر السابق د ٣ ص ٥٠٨ .

(٣١) الحافظ المكى : المصدر السابق ص ١٨٩ ، وجواد على المصدر السابق د ٣ ص ٥٠٧ .

أما عن الدافع الدينى فكان الرغبة فى نشر النصرانية فى بلاد العرب ، وهدم الكعبة وتحويل حج العرب الى كنيسة صنعاء ، خصوصا وان النصارى وجدوا فى الكعبة منافسا كبيرا أمامهم •

وعن الدافع السياسى فكان الهدف منه غزو بلاد الحجاز وفرض السيطرة الحبشية عليها^(٣٢) كما فرضت على اليمن وذلك لتحقيق حلم الدولة البيزنطية بفرض سيطرتها على شبه الجزيرة العربية ، وتكوين جبهة عسكرية مؤيدة من الأحباش من جهة ومن الروم المقيمين فى بلاد الشام من جهة أخرى بهدف التصدى لمحاولات الفرس التى كانت تستهدف أمن البحر الأحمر^(٣٣) ومن هنا وقفت بيزنطة بكل قوتها وراء هذا المشروع الخطير حتى تحقق نصر سياسيا كبيرا. (٣٥) •

-
- (٣٢) فكر الفرس والروم فى غزو بلاد الحجاز من الشمال مرات عديدة ولكنهم عدلوا عن هذه الفكرة لصعوبتها ، ثم كانت المحاولة الحبشية بايعاز من الروم ، انظر : فؤاد على رضا : أم القرى — مكة المكرمة ، بيروت ، مكتبة المعارف ١٩٧٢ ص ٢١٥ .
- (٣٣) عبد المعطى سمس : العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الحبشى باليمن ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ١٤١٠ هـ ص ٢٦٠ — ٢٦١ .
- (٣٤) مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص ٤٠٠ .
- (٣٥) جواد على : المصدر السابق ج ٢ ص ٥١٧ .

أما عن الدافع الاقتصادي فيرجع الى أن اليمن بعد احتلال الأحباش لها قد فقدت دورها التقليدي في نقل التجارة العالمية ، يوم أن كانت تسيطر على باب المندب وتملك اسطولا ضخما لنقل البضائع الى بلدان الهند والصين وغيرها ، يضاف الى ذلك أن النزاع بين الفرس والروم قد أدى الى اغلاق الطريق التجارى الشرقى المار ببلاد العراق الى الشام ومن ثم أصبح الطريق البرى عبر تهامة والحجاز هو الطريق الوحيد المفتوح أمام التجارة الشرقية ، وكان على أهل مكة القيام بدور الوسيط لنقل التجارة بين الطرفين ولما كانت هذه الوساطة التجارية تدر ربحا كبيرا على من يقوم بها فقد حاول الأحباش احتكار هذا المصدر الاقتصادي بالاستيلاء على مكة ومن ثم كانت حملة ابرهة (٣٦) .

وعلى كل حال فعندما علم العرب بسوء نية ابرهة تجاه الكعبة خرجوا اليه لمنعهم من ذلك ، ولكن ابرهة تمكن من هزيمة كل ما تعرض لحملته فهزم ذو نفر وأصحابه ، وهزم قبيلتي خثعم وهما شهران وناهس (٣٧) وهزم غيرها من القبائل التى

(٣٦) مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص ٣٩٩ — ٤٠٠ .

(٣٧) عن تفاصيل ذلك انظر ابن كثير ، المصدر السابق ج ٢ ص ١٧١ .

تعرضت له (٣٨) .

ولما تهيأ أبرهة لدخول مكة ومعه فيله الضخم وبعض الأفيال الأخرى (٣٩) وذلك لهدم الكعبة بشد جدارها بالسلاسل المشدودة بالأفيال ، توسل عبد المطلب الى ربه وناجاه بأن يحفظ بيته (٤٠) وبيت خليله ابراهيم عليه السلام وأن يمنع أبرهة من الاعتداء عليه (٤١) ، فحمى الله بيته العتيق من ذلك الطاغية الغاشم ورد كيده الى نحره (٤٢) فلم يستطع جيش أبرهة أن يدخل مكة وإنما توقف في وادي محسر حيث برك الفيل الموجه لهدم الكعبة وأبى أن يطأ حرم الله بغيا فإذا وجهه ناحية الشام أو اليمن أسرع في العدو وإذا وجهه شطر الحرم برك وحاولوا وأخفقوا (٤٣) ثم أرسل الله

(٣٨) عن وقوف قبيلة ثقيف بزعامة مسعود بن معتب في وجه حملة أبرهة وهزيمتها .

انظر : فؤاد رضا : المرجع السابق ص ٢٢٣ .

(٣٩) قيل في بعض الروايات أن عدد الفيلة كان ثلاثة عشر فيلا وقيل دون ذلك أو أكثر وأوصل البعض العدد الى ألف فيل .

انظر : جواد على : المصدر السابق د ٣ ص ٥٠٧ .

(٤٠) جواد على : المصدر السابق د ٣ ص ٥١٦ .

(٤١) ابن كثير : المصدر السابق د ٢ ص ١٧٢ .

(٤٢) سمس : المرجع السابق ص ٢٧٥ ، ٢٩٢ .

(٤٣) عطار : المرجع السابق ص ١٠٩ .

تعالى على ابرهه وجيشه طيرا من البحر أمثال الخطاطيف
والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر فى
منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب
منهم أحدا الا هلك^(٤٤) ، فخرجوا يتساقطون بكل طريق
ويهلكون بكل مهلك ، وأصيب ابرهه فى جسده^(٤٥) وتفتشت
الأمراض بين جنوده حتى هلك معظمهم ، فكان عسكره
يتساقطون موتى على الطريق وهم فى عودتهم الى اليمن^(٤٦)
هذه كانت المعجزة الخارقة التى سبقت ميلاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد خلد الله تعالى هذا الحدث
التارىخى فى القرآن الكريم بقوله (ألم تر كيف فعل ربك
بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم
طيرا من أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف
مأكول)^(٤٧) .

وهكذا تدخلت العناية الالهية لانقاذ البيت العتيق
فكان للكعبة رب يحميها ويرد عنها كيد المعتدين ، وتنتهى حماة

(٤٤) هارون : تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٨ ،

(٤٥) ابن كثير : المصدر السابق د ٢ ص ١٧٢ .

(٤٦) جواد على : المصدر السابق د ٣ ص ٥١٦ .

(٤٧) سورة الفيل : الآيات من ١ الى ٥ .

ابرهة بفاجعة جعلتهم عبرة لمن يعتبر ، وعظه لمن شسء أن يتعظ (٤٨) .

وعن نتائج هذه الحملة فبعد أن حمى الله تعالى مكة المكرمة من أصحاب الفيل ورد كيدهم الى تصورهم وازدادت هيبتها فى نفوس العرب وأصبح للقرشيين مكلفة عظيمة بين القبائل العربية ، وازدادت مكانتهم الدينية والتجارية ، والى جانب ذلك أصبح العرب يؤرخون حوادثهم بعسام الفيل ، واستمرت الأمور على ذلك حتى جاءت الدعوة الاسلامية بعد أربعين عاما من هذه الحملة ، وتحول بيت الله الحرام الى كعبة للمسلمين وقبلة لهم^(٤٩) حيث أزال الرسول عنه آثار الجاهلية ، وأمر بطمس معالم الوثنية ، وصار حرما آمنا لا يدخله مشرك .

وعن المحاولة الخامسة فبالرغم من هلاك حملة ابرهة التى أعطت الأمم والأجيال المثل الكامل بأن مكة البيت الحرام محفوظة بحفظ الله لها فان النصرانية لم تنته عن محاولاتها للاعتداء على الكعبة ، وان تكرر ذلك بأسلوب آخر ليس بأسلوب الحرب والقتال وانما أسلوب المراوغة والمداهنة فقد فكر

(٤٨) امينة الصاوى : الكعبة المعظمة ص ٩٠ .

(٤٩) فؤاد رضا : المرجع السابق ص ٢٢٧ — ٢٣٠ .

الرومان فى ضرب مكة من داخلها بعد أن فشلت جهودهم فى الاستيلاء عليها وذلك عن طريق اجتذاب سيد من سادات العرب اليهم ، وجعله يدين بالولاء لهم • فقد اختار قيصر عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى وكان نصرانيا ليكون ملكا على مكة من قبله^(٥٠) وكتب له رسالة يبلغها الى قومه • ولما جمع عثمان قومه ليبلغهم رسالة قيصر ويرغبهم فى حسن الجزاء منه وسوء العقابة ان هم عصوه ، وأهون ما هنالك أن يغلق أبواب بلاده فى وجوههم ، رفضت قريش عرضه ، على الرغم من أن الثمن كان غاليا فقد قضى بعض رجالات قريش فى سجون قيصر فترة ثم عادت الأمور الى سيرتها الأولى • وهكذا فشلت هذه المحاولة ، وأنقذ الله مكة من قيصر وزبانيته من النصارى وبقيت كما أراد الله لها حرما آمنا •

هذا عن المحاولات الخمس التى تعرض فيها الحرم الملكى للاعتداءات قبل الاسلام ، والتى اتضح منها أن

(٥٠) مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم

قدسية هذا الحرم هي ارادة الهية كونية أزلية
فحرمة مكة المكرمة كائنة منذ تكوين السموات
والأرض ، وكل من عاند الناموس الكونى ، وعزم على
الاعتداء عليها كان مصيره الهلاك فى الدنيا ، والعذاب
الأليم فى الآخرة (٥١) .

(٥١) قدسية الحرمين الشريفين بحث للدكتور عبد الله التركى
فى مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين الذى انعقد بالقاهرة عام
١٤٠٨ هـ ص ٧ — ٨ .

الفصل الثاني

الاعتداءات على الحرمين الشريفين
في العصر الاسلامي

لما بزغ نور الاسلام ، واندحرت أكبر قوتين
فى ذلك الوقت هما الفرس والروم ، وسطعت شمس
التوحيد والتشريف وحلت قدسيتهما فى قلب كل مسلم
خصوصا بعد أن أزال رسول الاسلام محمد بن عبد الله
عنها آثار الجاهلية ، وصار حرما خاصا بالمسلمين
ولا تطفأ أرضه أقدام غيرهم وخلال عصر النبوة والخلافة
الراشدة لم تتعرض المدينتين المقدستين لأى عدوان
داخلى أو خارجى ، ولم يظهر ذلك الا بعد أن انشقت
وحدة الصف الاسلامى ، وظهرت بعض النزاعات التى
نالت من مكانة مكة ووصل اذاها الى الحرمين الشريفين
وفىما يلى نعرض لذلك .

أولا : العدوان على الحرمين الشريفين فى العصر الأموى

سجلت أولى هذه المحاولات العدوانية عندما رفض
أهل الحجاز مبايعة يزيد بن معاوية على خلافة المسلمين،

وأعلنوا خلعه فأرسل يزيد « قائده مسلم بن عقبة
المرى » بجيش يتكون من اثني عشر ألفا ، ليذيق أهل
المدينة وأهل مكة كل ضروب الشر فحاصر المرى المدينة،
وانتهك حرمتها — وهى التى حرمها الرسول عليه السلام كما
حرم ابراهيم مكة^(١) — وأوقع بأهلها وقعة الصرة
المشهوره^(٢) ، وأباحها لجنده ثلاثة أيام يفعلون فيها
المنكر^(٣) ، فاعتدوا على العذارى لدرجة قال عنها صاحب
النجوم الزاهرة أن جيش مسلم بن عقبة افتض الف
عذراء^(٤) كما تفاخر جند مسلم من السودان والزنج
بفعلتهم الشنعاء فقال شاعرهم :

(١) من حديث عبد الله بن زيد بن عاصم عن النبى صلى
الله عليه وسلم أنه قال « ان ابراهيم حرم مكة ، ودعا لأهلها ،
وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ... »
رواه البخارى ومسلم .

(٢) محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية —
الدولة الأموية ج ١ القاهرة ، المكتبة التجارية ١٩٦٩ — ص ١٣٠ .
(٣) عز الدين بن الأثير : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ،
المجلد الثالث ، القاهرة ، دار الشعب ص ٢٤٣ .

(٤) انظر جمال الدين أبى المحاسن : النجوم الزاهرة فى
ملوك مصر والقاهرة ج ١ القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد ،
ص ١٦٠ — ١٦٢ .

ويوم غمدان كنا الاسد قد علموا
ويوم يثرب كنا فحلة العرب

ويقصد الشاعر بيوم يثرب ، يوم الحرة أو الهجوم
على المدينة عام ٦٣ ، وفحلة العرب مفاخرة بالاعتداء على
نساء المدينة •

كما قال شاعر من شعراء مضر يؤكد الحادثة :

فسائل مسرف المري عنكم غداة أباح للجند العذارى

وهو يؤكد تسمية مسلم بمسرف ، ويؤكد كذلك أن
عدد السودان كان كثيرا (٥) • وقتل جند الشام من الصحابة
والتابعين وأولادهم وأطفالهم ونسائهم آلاف مؤلفة (٦)
وبعدها صعد المري إلى المنبر ، وأخذ البيعة ليزيد •

وان الانسان ليعجب مما حدث ، فقد ارتكب جنود

(٥) هذا الحديث أورده الجاحظ في رسالته فضل السودان
على البيضان •

انظر رسائل الجاحظ د ١ — تحقيق عبد السلام هارون ،
القاهرة ، مكتبة الخانجي ص ١٩٦ — ٢٠١ •

(٦) لتفاصيل ذلك انظر النجوم الزاهرة د ١ ص ١٦١ —
١٦٢ ايضا : عطار : الكعبة والكسوة ص ١١١ •

يزيد جرماً عظيماً ، وتحملوا انتهاك حرمة المدينة مهبط
الوحي الالهي ، يضاف الى ذلك اسرافهم فى معاملة أهل
المدينة بطريقة مشينة بعد انتصارهم عليهم ، واباحتها لهم
ثلاثة أيام (٧) ، وكان من الواجب احتراماً لحرمة رسول
الله صلى الله عليه وسلم عدم اباحة ذلك •

وبعد الانتهاء من ذلك العمل المشين أمر يزيد بن معاوية
قائده بالتوجه الى مكة (٨) فاتجه القائد الاموى بعد
الشر الذى صبه على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
الى مكة ليقاثل ابن الزبير فاهلكه الله فى الطريق (٩) فاستخلف
« الحصين بن نمير السكوني » على قيادة الجيش ، فصار
الحصين الى مكة فى المحرم من عام ٦٤ هـ وحاصر ابن الزبير
فى الكعبة ونصب المجانيق (١٠) حولها فى الثالث من ربيع
الأول من نفس العام ، ثم رمى الكعبة بالنفط والحجارة

(٧) كانت تعليمات يزيد لقائده « ابحها ثلاثاً فكل ما فيها
من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجد » محمد الخضرى :
الرجع السابق ج ١ ص ١٣١ •

(٨) محمد مليبارى : المنتقى فى أخبار أم القرى ، مكة
المكرمة مطابع الصفاء ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٤٢ •

(٩) ابن الاثير : المصدر السابق ص ٢٤٣ •

(١٠) المجانيق جمع منجنيق وهو مثل المدفع الآن •

حتى احترقت كسوتها وتصدعت جدرانها^(١١) واحترق فيها قرن الكبش الذى فدى به اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام^(١٢) .

وبينما كانت رحى القتال دائرة وصلت الاخبار بوفاة يزيد فى الرابع عشر من ربيع الأول ٦٤ هـ ونتيجة لذلك توقف الحصين عن القتال ودعا ابن الزبير الى المسالمة والخروج معه الى بلاد الشام لمبايعته ، ولكن ابن الزبير لم يجبه الى طلبه^(١٣) واستمر القتال بينهما مدة وبعدها فك الحصين الحصار ورجع الى الشام ، واستتب الامر لابن الزبير فى مكة وبايعه الناس فيها وفى المدينة وغيرها^(١٤) .

واذا عدنا لنسأل هل كان جيش الشام يقصد حرق الكعبة التى يستقبلها المسلمون فى صلاتهم خمس مرات يوميا ؟

(١١) السباعى : تاريخ مكة ص ٩٥ .

(١٢) ابن الاثير : المصدر السابق ج ٣ ص ٢٤٣ .

(١٣) عن تفاصيل ذلك انظر : الخضرى : المرجع السابق ج ٢ ص ١٣٥ .

(١٤) السباعى : المرجع السابق ص ٩٧ .

الواقع أن الزبيريين والامويين تبادلوا الاتهامات حول مسؤولية ما أصاب بيت الله الحرام واختلف المؤرخون فيمن تقع عليه مسؤولية ذلك فمنهم من يقول أن ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية المسجد فكلما جرح أحد من أصحابه أدخله الفسطاط ، فوضع رجل من أهل الشام شمعة في طرف رمح ، ثم ضرب فرسه حتى طعن الفسطاط فالتهب نارا^(١٥) امتدت شرارتها على الكعبة فاحترقت ، وتساقطت أستارها على الأرض^(١٦) ومنهم من يقول أن ابن الزبير اتخذ من المسجد حصنا فكانت فيه الفساطيط والخيام^(١٧) وأن نفر من أصحاب ابن الزبير أشعل النار في خيام كانت بين الحجر الأسود والركن اليماني مما يلي الصفا ، وكانت الريح شديدة فعلقت النار بالكعبة فاحترقت وتصدعت^(١٨) .

(١٥) محمد مليارى : المرجع السابق ص ٤٣ .

(١٦) محمد عبد الله الدينورى : الامامة والسياسة د ٢ تحقيق طه الزينى ، بيروت ، دار المعرفة د . ت ص ١١ .

(١٧) تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د . اكرم العمري ، الرياض ، دار طيبة الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ص ٢٥٢ .

(١٨) محمد صالح الحجبي : أعلام الأئمة بتاريخ بيت الله الحرام ص ١٤٧ .

ومنهم من يقول ان الكعبة احترقت نتيجة لرمى جند يزيد لها بالنفط والحجارة^(١٩) فتهدمت أجزاء كبيرة منها ، ثم امتدت اليها السنة اللهب فحترقت أجزاء أخرى منها^(٢٠) .

ومنهم من يقول أنه ما كان يجب على ابن الزبير أن يتحصن بالكعبة حتى لا يعرضها لضربات المهاجمين . وهكذا اذاع الأمويون أن ابن الزبير هو المسؤول عما أصاب الكعبة على حين ألقى ابن الزبير وأنصاره التبعة على الأمويين والحقيقة أن ما حدث يعتبر مأساة مروعة وهي أن يتقاتل المسلمون في أشرف بقعة من الارض حرم الله فيها القتال ، وجعلها حرما آمنا ، وانه كان على الطرفين أن يلتجأوا الى كتاب الله فهو خير حكم بينهما أو يبتعدوا عن الحرم، ويتقاتلوا بعيدا عنه حتى تحسم الامور بينهما . ومع كل ذلك فنحن نتفق مع القول الذي يرى أن الكعبة لم تكن مقصودة بالرمى خصوصا وان جيش الشام كان يستقبلها في صلاته مثل باقي المسلمين بل يمكن القول ان ابن الزبير

(١٩) السباعي : المرجع السابق ص ٩٥ .

(٢٠) الخربوطلى : تاريخ الكعبة ص ١٥٨ .

لما احتفى بها حاول جنود يزيد اصابته من ورائها فغالت
القذائف بعض أركانها (٢١) .

وقد ترك ابن الزبير الكعبة على حالها حتى قدم
الناس للحج حتى يريهم ما فعله جند يزيد ببیت الله
الحرام (٢٢) وبعدها بادر بازالة الاحجار التي ألقیت على
الكعبة ، وأمر بهدم البناء فى عام ٦٥ هـ (٢٣) واعادته
من جديد ، بعد أن مال جدار الكعبة من رمى المنجنیق ،
فهدم ابن الزبير الجدار حتى وصل الى أساس ابراهيم
عليه السلام وبنائها على ما كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يريد أن يبنیها (٢٤) وادخل فیها الحجر الاسود (٢٥)
وكان السبب فى ادخاله الحجر ضمن البيت ما روته أمه
أسماء عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال لها : « لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت

-
- (٢١) السباعی : المرجع السابق ص ٩٥ .
(٢٢) محمد صالح الحجبی : اعلام الأنام بتاريخ بیت الله
الحرام ص ١٤١ .
(٢٣) السيد أبو الفضل عوض الله ، مكة فى عصر ما قبل
الاسلام ، الرياض دائرة الملك عبد العزيز ، الطبعة الثانية
١٤٠١ هـ ص ١٢٠ .
(٢٤) ابن كثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٢٥٠ .
(٢٥) ابن الاثير : المصدر السابق ص ٢٤٤ .

الكعبة وجعلتها على قواعد اسماعيل ، وجعلت لها بابين^(٢٦) ، ومن هنا قام ابن الزبير بتنفيذ ما كان يرغبه الرسول عليه السلام من بناء للكعبة لما استقر الأمر لعبد الملك بن مروان فى العراق ، والشام ومصر ولم يبق فى يد ابن الزبير الا الحجاز جهز حملة الى مكة فى عام ٧٣ هـ بقيادة الحجاج ابن يوسف الثقفى لقتال ابن الزبير .

وقدم الحجاج بجيشه الى مكة ، ودارت الحرب بينه وبين ابن الزبير ، وحوصرت مكة ، والتجأ ابن الزبير الى المسجد الحرام ، ودامت الحرب سجالات^(٢٧) لفترة ، وقد حج الحجاج بالناس فى هذه السنة ، ومكة محصورة ، ولا سبيل للحجاج اليها ، ولما وافى يوم عرفات وقف الحجاج ملبياً وهو على فرسه وعليه الدرع^(٢٨) ومعه أفراد جيشه ثم ازدلف مع الحجيج الى المزدلفة ومنى ، ولم يستطيعوا دخول مكة لاتمام مناسكهم فبقوا فى احرامهم^(٢٩) . فى حين

(٢٦) الخضرى : المرجع السابق د ١ ص ١٦١ .

(٢٧) ابو الفضل البيهقى : تاريخ البيهقى — ترجمة يحيى

الخشاب وصادق نشأت ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨٢
ص ٢٠٢ .

(٢٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك د ٦ ص ١٧٥ .

(٢٩) السباعى : المرجع السابق ص ١٠٢ .

لم يستطع ابن الزبير وأصحابه الحج في ذلك العام لأنهم لم يلقوا بعرفة (٣٠) .

وشدد الحجاج الحصار على مكة ، ونصب المنجنيق على جبل أبي قبيس ، وكان يرمى به ابن الزبير ومن معه في المسجد (٣١) فكانت الأحجار تنهال على الكعبة وتقع على جدارها (٣٢) ثم ضيق الخناق على ابن الزبير وحاصره الكعبة بجيشه فعبأ « أهل حمص في مقابل الكعبة ، ورجال دمشق تجاه باب بني شيبة ، وجند الاردن ازاء باب الصفا .. ووقف الحجاج مع طارق بن عمرو ومعظم الجيش في موضع المروة حيث نصبوا الراية الكبرى » (٣٣) .

ونظروا لهول ما حدث من اعتداء على البيت الحرام ، وترويع للحجاج بعث عبد الله بن عمر بن الخطاب الى الحجاج الثقفي ينهائه عن قذف الكعبة بالأحجار ومحاصرتها بقوله : « اتق الله اكثف هذه الحجارة عن الناس ، فانك في شهر حرام ، وبلد حرام ، وقد قدمت وفود الله من أقطار الأرض ليؤدوا فريضة الله ويزدادوا خيرا وان المنجنيق قد

(٣٠) الطبري : المصدر السابق ج ٦ ص ١٧٤ .

(٣١) مليباري : المنتقى في أخبار أم القرى ص ٤٤ .

(٣٢) السباعي : المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٣٣) البيهقي : المصدر السابق ص ٢٠٤ .

منعهم من الطواف ، فاكثف عن لرمى حتى يقضوا ما يجب عليهم بمكة » (٣٤) .

ونتيجة لتأزم موقف ابن الزبير تركه انصاره وتفرقوا عنه وانضم بعضهم الى صفوف الحجاج (٣٥) ولما ضاق الامر بابن الزبير كف عن القتال (٣٦) بعد أن تفرق أصحابه عنه وخرجوا بالامان الى الحجاج ولما رأى ابن الزبير انه لم يبق معه الا قليل من الانصار لا يفتنون عنه شيئا دخل على أمه اسماء بنت أبي بكر فقال يا أماه خذلى الناس حتى ولدى وأهلى ولم يبق الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك فقالت أنت أعلم بنفسك انك على حق واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقتك يلعب بها غلمان بنى أمية ، وان كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ، ومن قتل معك وان كنت على حق فلما أوهن أصحابك ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل احسن ! فقال : يا أماه أخاف

(٣٤) الخربوطلى : تاريخ الكعبة : نص ١٦٥ .

(٣٥) ضرار صالح ضرار : العرب من معين الى الامويين

بيروت ، مكتبة الحياة ، الطبعة الرابعة ص ١٢٦ .

(٣٦) البيهقى : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى • قالت :
يا بنى ان الشاة لا تتألم بالسليخ بعد ذبحها فامض على
بصيرتك واستعن بالله فقبل رأسها وقال هذا رأى والذى
خرجت به دائباً الى يومى هذا ما ركنت الى الدنيا ، ولا
أحببت الحياة فيها ما دعانى للخروج الا الغضب لله وأن
تستحل حرماته ولكنى احببت أن أعرف رأيك ثم خرج فقاتله
حتى قتل فى عام ٥٧٣ هـ : وبعد القتل صلبت جثته^(٣٧) ، وانتهى
الامر باستيلاء الحجاج على مقدرات الامور فى مكة ،
واستقر الامر لعبد الملك بن مروان فى جميع البلدان الاسلامية
وبعدها نقض الحجاج بنيان ابن الزبير للكعبة واعادها الى
بنائها فى زمن النبی صلى الله عليه وسلم^(٣٨) واخرج الحجر
الاسود منها^(٣٩) بعد مشاورة عبد الملك بن مروان فى
الأمر • وذلك أنفة أن يبقى هذا الشرف وهذه المكرمة
لاين الزبير^(٤٠) •

(٣٧) الخضرى : المرجع السابق د ٢ ص ١٤٢ — ١٤٣ •

(٣٨) ابن قتبية : المعارف ، القاهرة ، دار المعارف ،
الطبعة الرابعة ١٩٨١ ص ٣٥٦ •

(٣٩) ابن الاثير : اسد الغابة ص ٢٤٤ •

(٤٠) ابن العباد الحنبلى : المصدر السابق د ١ ص ٧٩ •

وهكذا أدى التنازع بين ابن الزبير والامويين الى قيام الحجاج وجنوده مع كل اسف بارتكاب كبائر واخطاء يصعب على المسلمين نسيانها ، فكيف يرمى الحجاج قبلته التى يصلى اليها انها حمى الحرب وثورة الاعصاب^(٤١) .

وكيف ينقض الحجاج بناء ابن الزبير للكعبة مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ارادها على هذا البنيان .
لأنها الخصومة الشديدة التى جعلت الحجاج لا يفكر الا فى الانتقام من غريمه ومحو كل أثر له .

وكما أن بيت الله الحرام وحرم رسوله الامين لم يسلمها من العدوان خلال النزاع بين الزبيريين والامويين فانهما لم يسلما أيضا خلال مقاتلة الخوارج للامويين فقد هاجم أبو حمزة المختار بن عوف الخارجى مكة فى ذى الحجة من عام ١٢٩هـ فى جيش كثيف لم يستطيع عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك بن مروان أمير مكة صدّه ففر الى المدينة تاركا أبا حمزة يعبث بمكة ويستولى على مقدرات أمورها ، ويدعو أهلها الى الخروج على طاعة الامويين^(٤٢) .

(٤١) السباعى ، المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٤٢) جمال الدين أبى المحاسن : النجوم الزاهرة ج ١

وبعد أن استقرت الامور لابن حمزة بمكة زحف بجيشه على المدينة فى صفر من عام ١٣٠ هـ وقتل من أهلها خلقا كثيرا ، ثم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوبخ أهل المدينة ، ودعاهم الى الخروج على طاعة الخليفة الاموى مروان بن محمد ، وحذرهم من تحدى أوامره (٤٣) .

وقد أرسل اليه الخليفة مروان جيشا هزمه واستعاد منه المدينة ، ثم حصره فى مكة حتى قتل وهزم أصحابه وأعيدت مكة وجنوب بلاد العرب الى حكم الامويين (٤٤) .

ثانيا : العدوان على الحرمين الشريفين فى العصر العباسي :

وبعد أن انتقلت الخلافة الى بغداد أصيب العالم الاسلامي بمحنة ظهور الفرق التي انهكت قوى الامة الاسلامية وفتتت فى عضدها ، وكان على رأس هذه الفرق

(٤٣) ابن كثير : المصدر السابق د ١٠ ، ص ٣٥ .

(٤٤) للتفاصيل انظر : جمال الدين ابى المحاسن : المصدر السابق د ١ ص ٣١١ .

الضالة «القرامطة»^(٤٥) الذين خرجوا عن سلطان الدولة وأعلنوا العصيان على الخلافة وشقوا عصا الطاعة ، وقاوموا جيوش الخليفة واستطاعوا هزيمتها وكان للقرامطة سلطان على البحرين والقطيف والاحساء والطائف وغيرها وعندما تولى أمر قرامطة البحرين أبو طاهر سليمان ابن ابي سعيد الجنابي بدأ بالتعرض للحجاج سنة احدى عشر وثلاثمائة فنهب قوافل الحجاج من أهل بغداد والشرق ، وأخذ جمالهم ، وما أراد من أمتعتهم وأموالهم وصبيانهم وعاد الى هجر^(٤٦) ، تاركاً الحجاج فى مواضعهم يموت

(٤٥) ينسب القرامطة الى رجل من الباطنية مجوسى العقيدة تظاهر بالاسلام اسمه حسين الأهوازى ، وقد تقابل هذا الرجل فى الكوفة بجمدان بن الأشعث (قرمط) وتحالفا معا على الشر ، وقد ظهرت هذه الطائفة فى أيام المقتدر العباسى وهم قوم ينسبون الى موالاة محمد بن الحنفية ، وأبرز من ظهر منهم أبو طاهر القرمطى الذى بنى دارا فى هجر سماها دار الهجرة وأراد أن ينقل الحج اليها وهذه الحركة استمدت عقائدها ومبادئها وتنظيماتها السرية من الحركة الاسماعيلية .

مصطفى غالب : الحركات الباطنية فى الاسلام ، بيروت ، دار الكاتب العربى ، د.ت ص ١٣١ وأحمد شلبى حركات فارسية مدمرة ص ١٤٢ .

(٤٦) اسم هجر كان يطلق على الاحساء وأحيانا على بلاد البحرين .

أكثرهم جوعاً وعطشاً ومن حر الشمس (٤٧) .

وتوالى هجمات القرامطة على الحجاج فى السنوات المتأيلة خصوصاً بعد استيلائهم على الكوفة فى عام ٣١٢ هـ ، وقطعهم لطريق القوافل الى مكة ، مما أدى الى احجام معظم الناس عن الحج فى تلك السنة .

وفى سنة سبع عشرة وثلاثمائة هاجم قرامطة البحرين مكة المكرمة فى يوم التروية بقيادة أبو طاهر الجنابى . وفى الوقت الذى اجتمع الحجاج فيه من كل مكان استعداداً لأداء فريضة الحج (٤٨) ، وكان المسجد والمطاف غاصاً بالمصلين والطائفين (٤٩) دخل أبو طاهر القرمطى وجنوده بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام (٥٠) واغمدوا السيوف فى رقاب الحجاج ، ونهبوا أموالهم واستحلوا حرمة البيت الحرام « وركض أبو طاهر القرمطى عند الكعبة بسيفه مشهوراً قتيلاً وهو سكران وصفر لفرسه عند

(٤٧) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين : مقال لمحمد السعيد تحت عنوان القرامطة ص ٢٧ .

(٤٨) عماد الدين أبى الفداء : المختصر فى أخبار البشر ، بيروت دار المعرفة ص ٧٤ .

(٤٩) وتموت الفتنة ص ٣٤ .

(٥٠) زينى دحلان : خلاصة الكلام ص ١٢ .

البيت الشريف فبال وراث» (٥١) ثم جلس على باب الكعبة يقول «أنا بالله وبالله أنا ، يخلق الخلق وأفنيهم أنا» وكان الحجاج يفرون من أمامه ويتعلقون بأستار الكعبة ومع ذلك كانوا يقتلون وهم كذلك (٥٢) وتسيل دماء الآلاف منهم في المطاف بين الكعبة وفي رحاب المسجد الحرام (٥٣) وهو يصيح فيهم «يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا أين الأمان وقد فعلنا ما فعلناه» (٥٤) وأخذ ينتقل من مكان الى آخر وهو يدعو أصحابه : أن اجهزوا على الكفار وعبدة الأحرار ، ودكوا أركان الكعبة ، واقتلعوا الحجر الأسود حتى لا يبقى له أثر (٥٥) .

وبعد أن قتل القرمطي ما بين عشرين وثلاثين ألف حاج أمر بأن يدفن القتلى في بئر زمزم ، حتى امتلأت بجثث القتلى ، ودفن كثيرا منهم في أماكنهم من الحرم ، دون أن يغسلوا أو يكفنوا ولم يصل عليهم (٥٦) .

-
- (٥١) دحلان : المرجع السابق ص ١٢
 - (٥٢) ابن كثير : المصدر السابق د ١١ ص ١٦٠ .
 - (٥٣) عطار : الكعبة والكسوة ص ١١١ .
 - (٥٤) دحلان : المرجع السابق ص ١٣ .
 - (٥٥) د. محمد الخطيب : الحركات الباطنية في العالم الاسلامي عمان ، مكتبة الاقصر ، الطبعة الاولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م ص ١٩٥٢ .
 - (٥٦) ابن كثير : المصدر السابق ص ١٦٠ .

وقلع القرمطى باب الكعبة ، وسلب كسوتها ووزعها بين أصحابه ، وهدم قبة زمزم وأمر بعض رجاله بقلع الحجر الأسود فضربه بعضهم بدبوس فكسره (٥٧) ولما قام بحمله حاول أحد الحجاج منعه فضربه بمثقل فى يده ، وقال أين الطير الأبائيل ؟ أين الحجارة من سجل ؟ (٥٨) وأراد القرمطى قلع ميزاب الكعبة (٥٩) وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة لقلعه فأصيب بسهم من جبل أبى قبيس وخر ميتا ، وأمر آخر مكانه فسقط ، فتركه أبو طاهر رغم أنفه (٦٠) وأخذ القرمطى خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الأموال ، ثم استدار مع رجاله على أهل مكة وقتل العديد منهم ، كما سبى العديد من النساء والصبيان (٦١) ونهبوا كل ما وقع تحت أيديهم •

(٥٧) المالكي المكي : شفاء الغرام ص ١٩٣ .

(٥٨) ابن كثير : المصدر السابق د ١١ ص ١٧١ .

(٥٩) ميزاب الكعبة فى وسط جدارها الذى يلى الحجر — بكسر الحاء — بين الركن الشامى ، والركن المغربى ، ويسكب فى بطن حجر اسماعيل وطول الميزاب أربعة أفرع ، وهو ملبس بصفائح الذهب من الداخل والخارج منذ عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك انظر : الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٢٦ .

(٦٠) دحلان : المرجع السابق ص ١٣ .

(٦١) د. محمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم

الاسلامى ص ١٥٢ .

وأقام القرمطى بمكة ستة أيام ، وقيل أحد عشر يوماً ثم غادرها الى هجر ومعه الحجر الأسود بفرض أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة (٦٢) وقد تبعه أمير مكة وجنده وتشفع اليه أن يرد الحجر الأسود ليضعه فى مكانه ، وبذل له جميع ما عنده من الأموال فلم يلتفت اليه ، مما اضطر أمير مكة الى قتاله فقتله القرمطى (٦٣) واستمر الحجر الأسود عند القرامطة اثنين وعشرين عاما ، يستجلبون به الناس طمعا أن يتحول الحج الى بلدتهم وبقي موضع الحجر الأسود فى البيت الحرام خاليا يضع الناس أيديهم فى مكانه (٦٤) •

وهكذا يتضح لنا أن موقف القرامطة من الحج أمر مثير للدهشة والاستغراب ، كما أن موقفهم من الحجر الأسود ونقله الى البحرين أمر يثير الحيرة والتعجب •

وعن موقفهم من الحجيج فيذكر أحد الباحثين أن اعتراض القرامطة للحجيج ، ومنعهم من الحج وقتلهم شىء محبب لهم لأن شعائر الحج كما يزعمون من شعائر

(٦٢) دحلان : المرجع السابق ص ١٤ •

(٦٣) ابن كثير : المرجع السابق د ١١ ص ١٦١ •

(٦٤) دحلان : المرجع السابق ص ١٤ •

الجاهلية ، ومن قبيل عبادة الأصنام ومن هنا كان موقفهم الذى تقشعر منه الأبدان معهم (٦٥) •

وبالنسبة لانتزاعهم للحجر الأسود ونقله الى البحرين فيقول الرحالة الاسماعيلي ناصر خسرو ان السبب فى ذلك يرجع الى أنهم « زعموا أن الحجر مغناطيس يجذب الناس اليه من أطراف العالم » ثم يعترف بفشل القرامطة فى جذب الناس اليهم بعد انتزاعهم الحجر الأسود فيقول « لقد لبث الحجر الأسود فى الحساء سنين عديدة ، ولم يذهب اليه أحد » (٦٧) •

ومعنى ذلك أن القرامطة أرادوا أن يصرفوا الحج عن مكة الى بلادهم ، وتوقعوا أنهم يستطيعون ذلك اذا تمكنوا من نقل الحجر الأسود الذى يجعل قلوب الناس تهفو الى مكة •

والغريب فى الأمر أن العالم الاسلامى لم ينهض لهذا

(٦٥) محمد أحمد الخطيب : الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى ص ١٥٢ •

(٦٦) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال تحت عنوان القرامطة لمحمد سعيد جمال الدين ص ٧١ •

(٦٧) نفس المرجع ص ٣١ •

الحادث الجلل لما كان يعتروه من الضعف وتفرق قواه ،
وانشغال الخلفاء العباسيين بتأمين مواقفهم الداخلية ،
مما جعلهم لا يهتمون بتأمين الطرق الى الحجاز ودعم الأمن
فى الحرمين وقد حاول عدد من ملوك الاسلام أن يستردده بأى
مبلغ من المال يحدده القرامطة ، فبذل لهم الأمير « بجكم »
التركى خمسين ألف دينار على أن يردوه الى موضعه فلم
يفعلوا ، وقالوا نحن أخذناه بأمر فلا نرده الا بأمر ،
وكانوا قد حملوا الحجر الأسود الى الكوفة وعلقوه على
الاسطوانة السابعة من جامعها ليراه الناس (٦٨) .

ولما بعث القرمطى الى الامام الاسماعيلى والخليفة
الفاطمى عبيد الله المهدي يبلغه بما أحدثه فى بيت الله
الحرام ، كتب اليه الخليفة الفاطمى رسالة ملؤها الوعيد
واللعنة بقوله « ان أعجب العجب ارسالك بكتابك الينا وهنا
بما ارتكبت فى بلد الله الحرام الذى لم يزل محترما فى
الجاهلية والاسلام ، وسفكت فيه دماء المسلمين ، وفتكت
بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرات على بيت الله
تعالى وقلعت الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى
الأرض ورجوت أن أشرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك
الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وفعل

فى يومه ما فعله فى حساب غده» (٦٩) .

كما أنكر عليه سوء فعلته وما جلبه عليهم من غضب المسلمين بقوله «حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والالحاد بما فعلت ، ثم هدده بقوله :

«ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذت ، وتعد الحجر الأسود الى مكانه ، وتعد كسوة الكعبة فأنا برىء منك فى الدنيا والآخرة» (٧٠) فلما وصلت هذه الرسالة الى القرمطى أعاد الحجر الأسود الى مكانه فى عام ٣٣٩هـ (٧١) خصوصا وأن القرامطة قد يتسوا من تحويل الحج الى بلادهم (٧٢) .

ولعل رسالة الخليفة الفاطمى الى القرمطى قد صيغت بأسلوب شيعى الهدف منه امتصاص غضب العالم الاسلامى من ناحية واظهار القرامطة فى صورة القادر على سلب الحجر الأسود وأخذه الى هجر دون أن يستطيع أحد من العباسيين أو غيرهم أن يسترده منهم ، ثم ييقوه أعواما فى بلادهم

(٦٩) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ واما خبر د ، ع ، بيروت ، ١٩٧١ ص ٨٩ .

(٧٠) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال القرامطة السابق الذكر

(٧١) مصطفى غالب : الحركات الباطنية فى الاسلام ، بيروت

دار الكاتب العربى ، د.ت ص ١٥٣ .

(٧٢) دحلان : مرجع سابق ص ١٤ .

ويعيدوه بأمر من الخليفة الفاطمي الزعيم الروحي للشيعة في ذلك الوقت مما يوحي أن سلطان الفاطميين كان أقوى من سلطان العباسيين ، وإن هجوم القرامطة كان من شأنه إضعاف هيئة الخلافة العباسية ويدلل على عدم قدرتها على حماية الحج .

ومعنى ذلك أن الحركة القرمطية كانت تتطلق مع الاسماعيلية وتستمد تنظيماتها منها ، وإن أبا طاهر القرمطي كان يتلقى أوامره وأرشاداته من الفاطميين وينفذها بكل دقة مما يفصح النية المبيتة من قبل الشيعة تجاه ركن أساسي من أركان الاسلام ألا وهو الحج .

ومع ذلك فقد رفض الخليفة الفاطمي أن تأتي سيادته على الحجاز بهذا الطريق الدموي ومن ثم ندد بأعمال القرامطة ، وأمرهم بإعادة الحجر الأسود الى مكانه (٧٣) .

وهكذا كان اقتلاع القرامطة للحجر الأسود وانتهاكهم لحرمه الكعبة ، وعدوانهم على حجيج بيت الله الحرام وقتلهم فاجعة كبرى حاقت بالاسلام والمسلمين مما ضاعف

(٧٣) سليمان مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ١٤٠٣ هـ ص ٢٩ .

من كراهية الناس للقرامطة ، وأكد انحرافهم عن الاسلام ومحاولاتهم لتدميره وتعطيل ركن من أركانه ، ثم أخزاهم الله بالذكر السيء من الآخرين فما أن يذكر القرامطة حتى يتبرأ المسلمون في كل مكان وزمان منهم أيما براءة (٧٤) .

ولم يقتصر أمر هؤلاء على إيذاء المسلمين في مشاعرهم باعتدائهم على المسجد الحرام وزواره بل وصل بهم الأمر الى التفكير في التهجم على الحجرة النبوية الشريفة ونقل النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه من المدينة الى مصر وموضوع ذلك أنه لما زين بعض الزنادقة للحاكم بأمر الله الفاطمي هذه الفكرة الخبيثة بعث مندوباً له لنبش الموضوع الشريف ، فلما وصل هذا المندوب الى المدينة ، وعلم الناس بنواياه هاجوا وماجوا وكادوا يقتلون مندوب الحاكم ومن معه من الجند (٧٥) ، لكنهم لاذوا بالفرار والى جانب ذلك فهناك محاولات من الروافض للاساءة الى الاسلام والمسلمين والتي كان أهمها محاولة نقل الشيخين من الحجرة الشريفة ومما يذكر عن هذا الموضوع أن قوم من أهل حلب جاءوا

(٧٤) د. عبد الله التركي مقال في مؤتمر قدسية الحرمين دار اليمامة ١٤٩٢ هـ ص ١٣١ — ١٣٢ .

(٧٥) حمد الجاسر : رسائل في تاريخ المدينة ، الرياض للشرين تحت عنوان « قدسية الحرمين » ص ٩ .

الى المدينة ويذلوا أموالا كثيرة لأمرها حتى يمكنهم من فتح
الحجرة الشريفة ، واخراج أبى بكر وعمر رضى الله عنهما
منها فأجابهم الى طلبهم وأمر الحراس بفتح أبواب المسجد
النبوى لهم بعد خروج الناس من صلاة العشاء وتمكينهم
مما يريدون ، ولما دخل هؤلاء الى المسجد بالشموع وآلات
الهدم والحفر وقصدوا الحجرة الشريفة أنقذ الله سبحانه
وتعالى حرمة مسجد نبيه الكريم فابتلعت الأرض هؤلاء البغاة
جميعهم بجميع ما معهم من الآلات والشموع ولم يبق لهم
أثر (٧٦) .

ولم تتوقف أمر الاعتداءات على مقدسات المسلمين عند
هذا الحد بل تكررت فى مناسبات عديدة نذكر منها :

١ — تظاهر رجل رومى بالاسلام ودخل مكة فى عام
٣٣٣هـ ، وطاف بالكعبة ثم انقض بمعول كان معه على الحجر
الأسود فضربه ضربة قوية ، ولما حاول تكرار ذلك ابتدره
أحد الطائفين بخنجر (٧٧) ثم أسرع اليه من كان بالمسجد الحرام
من معتمرين وزائرين ، وأمسكوا به وأخرجوه من المسجد ،
ولما تم استجوابه اعترف بأنه كلف بهذا العمل نظير مال

(٧٦) حمد الجاسر : المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٧٧) الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ص ١٢٧ .

كثير أخذه من باعثيه ، فجمع له حطب واحرق بالنار جزاء
عدوانه (٧٨) .

٢ — فى عام ٤١٣ هـ تعرض الحجر الأسود لحادثة مماثلة
حيث قام رجل من الباطنية ممن استغواهم الحاكم بأمر الله
فضرب الحجر الأسود بدبوس ثلاث مرات (٧٩) حتى خدش
وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه بعض أجزائه (٨٠)
وقال الى متى يعبد الحجر . . . أفيمنعنى محمد مما أفعله
فانى اليوم أهدم هذا البيت فاتقاه أكثر الحاضرين ، وكان
يقف على باب المسجد عشرة فوارس لنصرته ، ولكن رجلا من
أهل اليمن غافله وطعنه بخنجر ثم تكاثر عليه الناس
وأهلكوه (٨١) وأحرقوه ، وقتلوا من قاموا بمساعدته ، وقد
جمعت بقايا الحجر المتناثرة ، وعجنّت بالمسك واللك ، وحشيت
الشقوق وطلّيت (٨٢) حتى أصبح الحجر الأسود أكثر تماسكا .

٣ — امتدت الصراعات بين أشرف مكة على السلطة

-
- (٧٨) عطار : الكعبة والكسوة ص ١١٢ .
 - (٧٩) المالكي : شفاء الغرام ص ١٩٤ .
 - (٨٠) انزيلعى : المرجع السابق ص ١٢٨ .
 - (٨١) ابن كثير : البداية والنهاية ص ١٣ .
 - (٨٢) شذرات الذهب د ٣ ص ١٩٧ — ١٩٨ .

أحيانا الى أن تتحرك الأمور لسلب محتويات البيت العتيق ونهب أهالى مكة ، وأبرزها مثال على ذلك انه على أثر خلاف بين الأشراف تولى إمارة مكة محمد بن أبى الطيب عبد الرحمن المقاسم فى عام ٤٥٣هـ ، ولم يحسن آل الطيب السيرة فأشاعوا السلب والنهب فى مكة ، وتجاوزوا ذلك الى أخذ ميزاب الكعبة وتعريقها من الكسوة كما نهبوا حلية البيت الحرام ، وفر بعضهم الى اليمن .

ونظرا للظروف المحيطة بكل من العباسيين والفاطميين والنزاعات بينهما لم يكن فى وسعهما التدخل لاقرار الأمور فى مكة لذلك طلب الخليفة المستنصر الفاطمى من محمد بن محمد الصليحي حاكم اليمن التدخل فى الأمر ، واقرار الأمور فى مكة المكرمة خشية أن تؤدى تلك الفوضى الى خروج نفوذهم منها (٨٣) .

فغادر الصليحي اليمن متوجها الى مكة ، ووصلها فى السادس من ذى الحجة ٤٥٥هـ وانتزع أمورها من آل الطيب ، وأجبرهم على الخروج منها كما قام بتأديب القبائل التى كانت تعتدى على الحجاج وأمن الحج ، ورد ما أخذه بنو الطيب

من محتويات الكعبة وحليها فطابت قلوب الناس واستقرت الأمور ، وسارت في طريقها الصحيح^(٨٤) .

ثالثا : العدوان على الحرمين الشريفين في العصرين الأيوبي والملوكي :

١ - في عام ٥٥٧ هـ وقع حادث جلال خطط له أعداء الاسلام وكان الهدف منه اخراج الجسد الشريف لسيد الخلق أجمعين ونقله الى بلاد النصارى وتفصيل ذلك هو أن السلطان نور الدين محمود بن زنكى رأى فى منامه رؤيا هالته وهى أنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فى ليلة واحدة وهو يقول له انجذنى انقذنى من هذين الرجلين ، وأشار اليهما فرأهما رجلين أشقرين تجاهه^(٨٥) ، فاستيقظ السلطان وأحضر وزيره وذكر له ذلك فقال له ان هناك أمر قد حدث فى المدينة ولن يواجهه أحد غيرك ، فتجهز السلطان وخرج على عجل ومعه ألف راحلة وما يتبعها من استعدادات^(٨٦) وأسرع الى المدينة فى غفلة من أهلها والوزير

(٨٤) الزيلعى : المرجع السابق ص ٦٦ .

(٨٥) محمد بريم الخامس التونسى : صفوة الاعتبار بمستودع

الأمصار والقطار د ٤ المجلد الثانى ص ١٤٥ .

(٨٦) حمد الجاسر : رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض ،

دار اليمامة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ص ٢٧ .

معه فزار وجلس فى المسجد ثم أمر باحضار أهل المدينة وصار يتصدق عليهم ويتأمل فى الصفة التى رآها فى منامه، ولما علم أن أهل المدينة حضروا اليه جميعا ولم يتأخر عن الحضور سوى رجلين من أهل الأندلس سأل عن منزلهما فأخبر أنهما نازلان فى ناحية بالقرب من الحجرة الشريفة فمضى الى المنزل ليفتشه ، فلم يجد به سوى خيمتين ومالا كثيرا^(٨٧) ، ولما سأل الرجلين عن أسباب بقائهم فى هذا المكان قالوا لمجاورة النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يصدقهما وأصر على أن يقولوا الصدق ، والا تعرضا للعقاب فأقرا أنهما من النصرارى وأنهما وصلا لى ينقلا النبى صلى الله عليه وسلم من حجرته الشريفة باتفاق من ملوكهم^(٨٨) ، فرفع السلطان حصيرا فى البيت فوجد تحته سردابا ذاهبا صوب الحجرة الشريفة فارتاعت الناس^(٨٩) وضرب السلطان أعناقهم ثم أحرقا بالنار^(٩٠) .

وهكذا دبر النصرارى المكيدة للمسلمين فحاولوا نقل نبى الاسلام اليهم والتشفى منهم ، وابطال معجزة تعيين محله

-
- (٨٧) التونسى : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .
 - (٨٨) الجاسر : المرجع السابق ص ١٢٨ .
 - (٨٩) التونسى : المرجع السابق ص ١٤٦ .
 - (٩٠) الجاسر : المرجع السابق ص ١٢٩ .

صلى الله عليه وسلم دون غيره من الأنبياء جميعا عليهم السلام .

٢ — اقدام أرناط صاحب الكرك على مشروع خطير فى عام ٥٧١هـ استهدف به طعن الاسلام فى قلبه بغزو الحرمين وتفاصيل ذلك انه بعد اشتداد هجمات صلاح الدين على مملكة بيت المقدس ، وتمكنه من الاستيلاء على بعض المعاقل الصليبية لجأ الأمير أرناط الصليبي الى تهديد الحرمين الشريفين فى الحجاز فبدأ فكرته بالاستيلاء على أيلة وهو الميناء الهام على رأس خليج العقبة ثم لجأ أرناط فى بناء عدة سفن حملت أجزاؤها مفككة الى العقبة حيث ركبت وشحنها بالمقاتلين ، واتجه على رأسها لمهاجمة الموانئ الاسلامية فى البحر الأحمر (٩١) .

ولم يكتف أرناط بالعدوان على الموانئ المصرية مثل عيذاب بل نقل نشاطه الى شاطئ الحجاز حتى أن الصليبيين أضحوا على مسيرة يوم واحد من المدينة المنورة .

ومن الواضح أن العدوان على الحرمين أمر لا يمكن أن يغفره أو يسكت عنه المسلمون ، فأسرع العادل — أخو صلاح

(٩١) للتفاصيل انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٧٨ هـ .

الدين — الى ارسال اسطول قوى فى البحر الأحمر نجح فى تدمير السفن الصليبية وأسر الكثير من رجالها فى حين فر أرناط نفسه بصعوبة • أما صلاح الدين فقد رد عدوان أرناط بحصار حصن الكرك فى أواخر سنة ١١٨٣ م ثم سنة ١٢٨٤ ٥٧٩ / ٥٨٠ هـ وان كان لم يستطع الاستيلاء عليه لقوة تحصينه (٩٢) •

٣ — نتيجة لتدهور أمور أشراف مكة فى عام ٦١٣ هـ واحتدام الخلافات بينهم جمع الشريفان أبو ندى وأدريس جمعا كبيرا وقصدوا مكة وحاصروا الأمير مبارز الدين بن برطماس حصارا شديدا ، ودخلوا عليه مكة من رؤوس الجبال وهزموه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وسفكت الدماء بالمسجد الحرام ، وامتلا الناس رعبا (٩٣) •

٤ — فتأبعت الحوادث الفودية العدوانية على الحرمين الشريفين بعد ذلك وعلى سبيل المثال نذكر فى الرابع عشر من ذى الحجة ٧٣٠ هـ وقعت فتنة بين أهالى مكة وأمير الحج المصرى وأتباعه ، واحتدم النزاع داخل المسجد الحرام

(٩٢) للتفاصيل انظر : سعيد عاشور : الأيوبيون والماليك فى مصر والشام ص ٦٣ — ٦٤ والحركة الصليبية ح ٢ ص ٦١٧ — ٦٢٠ •

(٩٣) عمر بن مهدي : اتحاف الورى ص ٧٧ •

وقت صلاة الجمعة والخطيب يخطب على المنبر ، وانتهى بمقتل أمير الحج المصرى ومجموعة من المتقاتلين ، كما مات بعض الحجاج على أبواب المسجد الحرام عندما تراحم الناس وهم خارجون فرارا مما حدث (٩٤) .

وفى عام ٧٤٣ وقعت فتنة بعرفة بين أشراف مكة والأتراك وانتهى الأمر بأن شهرت السيوف واحتدم القتال بينهما وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الأشراف أقل من ذلك (٩٥) ، وبعد الوقوف بعرفة توجه المتقاتلين الى مكة وتحصنوا بها مما أدى الى فرار الحجاج ودخول معظمهم الى المسجد الحرام للاحتماء به وتركوا البيت بمزدلفة ومنى وبذلك لم يتم لمعظم الحجاج مناسكهم (٩٦) .

وفى سنة ٧٤٤ هـ وقعت فتنة أيضا بين أمير الحج التركى وأهل مكة قبل الصعود الى عرفات قتل فيها جماعة من الفريقين فى أطراف المسجد الحرام وخارج أبوابه (٩٧) .

وفى عام ٧٦١ هـ وقعت فتنة بين الأتراك يساعدهم

(٩٤) وتموت الفتنة ص ٣٨ .

(٩٥) دحلان : المرجع السابق ص ٣١ .

(٩٦) وتموت الفتنة ص ٣٨ .

(٩٧) وتموت الفتنة ص ٣٩ .

جنود من مصر وبين الأشراف عرفت بفتنة « قندس » (٩٨) .
بوفيهما تقاثل الفريقان قتالا شديدا في كل أنحاء مكة ، واعتصم
بعض الناس بالمسجد الحرام الذى أغلقت أبوابه ، وقتل
العديد من الفريقين ، واستطاع الأشراف أسر الكثيرين من
الترك ، وارسلوهم الى ينبع ، وصاروا يبيعونهم وينادى عليهم
الدالون كالعبيد (٩٩) .

فى عام ٨١٧ هـ وقعت احدى الحوادث التى انتهكت
فيها حرمة المسجد الحرام والتى عرفت بفتنة الجراد (١٠٠) ،
ففى الخامس من ذى الحجة فى ذلك العام أراد أمير الحج
المصرى جقمق المؤيدى (١٠١) تأديب أحد غلمانه لحمله السلاح
وهو معتمر ، فسجنه لديه فما كان من مواليه الا أن فزعوا
لاطلاق سراح زميلهم (١٠٢) وقاموا بحركة تمرد هاجموا خلالها
المسجد الحرام من باب ابراهيم وهم راكبون خيولهم والناس
فى صلاة الجمعة (١٠٣) فهاجمهم أنصار الأمير جقمق واقتتلوا

(٩٨) محمد بن فهد : اتحاف الورى ص ٥١٦ .

(٩٩) دحلان : المرجع السابق ص ٣٣ .

(١٠٠) وتموت الفتنة ص ٤٠ .

(١٠١) محمد بن فهد اتحاف الورى : ص ٥١٦ .

(١٠٢) وتموت الفتنة ص ٤٠ .

(١٠٣) السباعى : تاريخ مكة ص ٢٩٥ .

اقتتالا شديدا ، وقتل العديد من الطرفين داخل الحرم ، واستمر القتال بينهما وخلال ذلك أمر أمير الحج المصري بإغلاق أبواب المسجد الحرام كلها وتسميرها إلا باب بنى شيبية — وكان يومئذ بابا يمكن غلقه بأحكام — والباب الذى عند المدرسة المجاهدية فسمرت^(١٠٤) ثم أدخل جميع خيوله الى المسجد الحرام وتركها فى الرواق الشرقى حتى تلوثت أرضيات المسجد بروث الخيل وبدماء القتلى^(١٠٥) ونظرا لتأزم الأمر واستمرار الانتهاكات لحرمة البيت الحرام ، وكرامة المسلمين رأى الشريف حسن أمير مكة الاجتماع بكبار الحجاج والتشاور فى الأمر ، ثم اتفقوا على ندب شخص يتصل بأمير الحج المصرى ليلغى استيلاء الحجاج مما حدث ، وضرورة تسوية الأمر واجلاء الخيول عن الحرم ، وانتهى الأمر بقبول الوساطة^(١٠٦) .

٧ — وعن الانتهاكات لحرمة المسجد النبوى فى القرنين التاسع والعاشر الهجرى فقد توالى هذه الانتهاكات للمسجد النبوى من أمراء المدينة فعندما تنازع عجلان بن نعيم مع جماز بن هبه جماز على امارة المدينة المنورة ، ودخل جماز

(١٠٤) دحلان : المرجع السابق ص ٣٨ .

(١٠٥) وتموت الفتنة ص ٤٠ .

(١٠٦) السباعى : المرجع السابق ص ٢٩٥ .

المسجد النبوي^(١٠٧) وأخذ ستارتى الحجرة النبوية ، وأخذ جميع ما فى القبة من حاصل الحرم الشريف ، كما استولى على قناديل الذهب والفضة الموجودة بالمسجد ثم ارتحل هارباً . وقد أدت هذه الحادثة الى تعطيل الآذان والاقامة والجماعة بالمسجد ^(١٠٨) .

وقد أعقب هذه الحادثة المشينة قيام أمير المدينة المنورة حسن بن زبيرى من آل نعيم فى عام ٩٠١ هـ باقتحام مسجد رسول الله والاستيلاء على نفائسه بحجة فقره الشديد ، وضيق ذات يده وتفاصيل ذلك هو أنه بعد أن خلا المسجد من المصلين فى وقت الضحى جاء هذا الأمير فى مجموعة كبيرة من أعوانه متسلحين ودخل المسجد وأمر باخراج من فيه ونقل أبوابه وطلب من الخازن دار «أيدي الرومى» مفتاح القبة النبوية فلما رفض أمر بضربه حتى أغمى عليه ، وأخذ المفتاح واستولى على جميع ما فى القبة من نقود وقناديل ، كما استولى على العديد من نفائس الحرم ، وخرج شاهراً سيفه^(١٠٩) .

(١٠٧) لم تعرف على تاريخ هذه الحادثة بالتحديد ، ولكننا تعرف أن جواز قتل فى عام ٨١٢ هـ كما ذكر الحافظ بن حجر .
 انظر الجاسر : المرجع السابق ص ١٩٠ .
 (١٠٨) نفس المرجع ص ١٨٩ .
 (١٠٩) الجاسر : المرجع السابق ص ١٨٣ — ١٨٤ .

وقد أدى ذلك الى تعطيل صلاة الظهر يومئذ في المسجد
وحدوث قلق كبير ، وتذمر شديد بين الناس أغلق خلاله
أبواب المسجد النبوى ثلاثة أيام (١١٠) .

وهكذا يتضح مدى ما تعرض له الحرمين الشريفان من
اعتداءات منكرة فى العصر الاسلامى قام بها أعداء الاسلام
من الخارجين عليه والنصارى والمارقين ومع كل ذلك لم تتحقق
أغراضهم فى النيل من كرامة البيت العتيق مسجد سيد
المرسلين خصوصاً وأن هؤلاء كانوا فى حرب مع الله ورسوله،
وكل حرب من هذا النوع تكون خاسرة ، ويمكرون ويمكر
الله ، والله خير الماكرين .

(١١٠) انظر الجاسر : المرجع السابق ص ١٩١ — ١٩٤ .

الفصل الثالث

الاعتداءات على الحرمين الشريفين
في العصر الحديث

تعرض الحرمان الشريفان فى العصر الحديث لاعتداءات متعددة بهدف النيل من مقدسات المسلمين ، واهانتهم فى دينهم ولم تتوقف هذه المحاولات على النصارى بل شملت بعض من يدعون الاسلام ، والاسلام يرى منهم والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها :

١ - مؤازرة الصفويين للقوى البرتغالية المعادية للاسلام ، وتحالفهم معها خلال محاولتهم الاعتداء على مقدسات المسلمين وأوطانهم ، بهدف تطويق البلدان العربية وإضعافها حتى يتمكنوا من تحقيق رغبتهم فى تحويل الحج من مكة الى مشهد هذا الى جانب دعوتهم لإعلان البراءة من المشركين خلال مسيرات وعدم اعطائهم لهذه الفريضة ما لها من قدسية بين أركان الاسلام .

٢ - محاولة البرتغاليين هدم الكعبة المشرفة ، ونبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم بهدف أهانة المسلمين فى مقدساتهم نتيجة لدوافع صليبية متعصبة مسرفة فى عدائها للمسلمين .

٣ - تعرض أمن الحرمين الشريفين لبعض الفتن فى

العصر العثماني خصوصا في فترة ضعف الدولة العثمانية ،
وانشغالها عن حفظ أمن الحرمين وانتهاك مدافع الأتراك
العثمانيين لحرمة الكعبة والمسجد الحرام أثناء ثورة الشريف
حسين وخلال دفاع الأتراك عن وجودهم في مكة •

٤ — الشائعات التي روجها أعداء الدولة السعودية
الأولى ، والحرب النفسية والفكرية التي شنوها ضدها ،
واتهامها بمنع الحج الى بيت الله الحرام بهدف ابعاد المسلمين
عنها والنيل من شأنها وتفنيد هذه الشائعات والرد عليها •

٥ — ظهور رأس الفتنة القرمطية خلال الحكم السعودي
وتحمل الملكة العربية السعودية مسئولية حماية أمن الحرمين
الشريفيين وضربها على يد كل من حاول تعكير صفو أمن
الطائفيين والقائمين في المسجد الحرام ومسجد الرسول الأمين
ونجاحها في القضاء على محاولات الشرذمة الباغية التي
حاولت ترويع أمن أطهر بقعة على الأرض وفيما يلي نعرض
لهذه المحاولات :

١ — الصفويون والحرمين الشريفان :

قامت الدولة الصفوية في ايران في بداية القرن العاشر
الهجري وأعلنت مذهبها الشيعي الجعفري على الرغم من أن

أغلبية سكان البلاد فى ذلك الوقت كانوا من السنة^(١) .

وقد اتسم العصر الصفوى فى ايران بالاستبداد والقهر والتعصب الذى عانى منه أهل السنة فضلا عن أن الصفويين لم يترددوا فى مؤازرة القوى المعادية للمسلمين فى ذلك الوقت بدلا من مساندتها والوقوف بجانبها أمام القوى النصرانية التى تخطط للاقتاف حول العالم الاسلامى والسيطرة عليه بل تحالفت معهم ، وخطبت ودهم مما أعطى الفرصة لأعداء الاسلام وجعلهم يستغلون هذا الموقف متبعين فى ذلك مبدأ « فرق تسد » بين المسلمين وأبرز الأمثلة على ذلك قيام الصفويين بخطب ود البرتغاليين أثناء حصارهم للموانئ العربية وسواحل البحر الأحمر والخليج العربى خصوصا وأن الغاية توحدت بينهما للقضاء على الأساطيل العربية ، واحتلال بلاد العرب ، والتخلص من منافستهم^(٢) .

وتبعاً لذلك فقد حدثت العديد من المراسلات بين القائد البرتغالى « البوكيرك » والشاه « اسماعيل الصفوى » والتى

(١) فهمى هويدى : ايران من الداخل ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٥٨ .

(٢) أمين سعيد : الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، بيروت دار الكتاب العربى ص ٣٠ .

يتضح منها رغبة الطرفين فى مساندة الآخر ضد أبناء الأمة
الاسلامية ، ومن ذلك نذكر ما ورد فى رسالة البوكيرك الى
الشاه حتى تتضح المؤامرة •

أرسل البوكيرك مبعوثا برسالة الى الشاه يقول فيها :
« ... وأذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو تهاجم مكة ،
فستجدنى بجانبك فى البحر الأحمر أمام جدة أو فى عدن
أو فى البحرين أو فى القطيف أو فى البصرة ... » (٣) •

يضاف الى ذلك أن الصفويين ساعدوا قوى الاستعمار
العالمى فى وقف التوسع العثمانى تجاه أوربا ، انتقاما
لهزيمتهم أمام السلطان سليم الأول العثمانى ، كما بعث الشاه
اسماعيل الصفوى برسالة الى أوربا للتفاوض مع بعض ملوك
الفرنچ بشأن معاونته ضد السلطان العورى فى مصر (٤) نظير

(٣) بدر الدين الخصوصى : دراسات فى تاريخ الخليج العربى
الحديث والمعاصر د ١ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل.
الطبعة الأولى ١٩٧٨ ص ١٨ •

(٤) محمد بن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور د ٤
— تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة
للكتاب ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٢٠٥ •

تقسيم دولته بينهما على أن تكون مصر من نصيبهم ويستجوز
هر على بلاد الشام^(٥) .

ولنا أن فتساعل عن الأسباب التي دفعت الصفويين الى
هذا التحالف المشين مع البرتغاليين وضد الاسلام الذى
ينتسبون اليه .

الواقع أنه بعد هزيمة الشاه اسماعيل الصفوى فى
معركة جالديران ١٥٩٢م/١٥١٤م حاول الصفويون رد اعتبارهم
بالتحالف مع البرتغاليين لمساعدتهم ضد العثمانيين ، وانتهى
الأمر بعقد اتفاقية بين الطرفين بهدف أن تتحد الدولتان ضد
الدولة العثمانية وأن يقوم البرتغاليون بامداد الصفويين
بالسفن الحربية فى حملتهم على البحرين والقطيف فى مقابل
أن يتنازلوا للبرتغاليين عن ميناء جوادر على ساحل بلوختان،
وعن جزيرة هرمز وتصبح تابعة للبرتغال^(٦) .

كل ذلك أقلق الدولة العثمانية ، وجعلها تعد العدة لمواجهة
الموقف، وألى جانب ذلك حاول الصفويون نشر المذهب الشيعى

(٥) عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، بيروت ،
دار النهضة العربية ١٩٧٣ ص ٧١ .

(٦) بديع جمعه وآخر : تاريخ الصفويين وحضارتهم
ج ١ ص ٩٧ .

فى منطقة الأناضول والولايات العربية فى آسيا وافريقية ،
 مما جعل الدولة العثمانية — بصفتها حامية المذهب السنى —
 تقف بالمرصاد لهذه المحاولات حتى نجحت فى حصر المذهب
 الشيعى فى فارس واستولت على الأجزاء الغربية من ايران ،
 هذا الى جانب عدم سماحها بتسرب المذهب الشيعى الى
 الأقاليم العربية التى دخلت تحت سيادتها ، وعلى الرغم من
 ذلك فقد اجتهد الصفويون فى تحويل الحج من مكة الى مشهد
 فسار عباس الصفوى من أصفهان الى مشهد مشيا على
 الأقدام حيث يرقد الامام على الرضا^(٩) وهو الامام الثامن
 عند الشيعة الاثنى عشرية^(١٠) . مما أعاد الى الأذهان سيرة
 الحاكم بأمر الله العبيدى ، والملك الرحيم الحاكم البويهى .
 ومؤرخو الشيعة عندما يتحدثون اليوم عن الصفويين.

(٧) أحمد محمود الساداتى : رضاه شاه بهلوى — نهضة
 ايران الحديثة ، القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٣٥٨ هـ ١٩٣٩ م
 ص ٨ .

(٨) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية
 مفترى عليها ، د ٢ القاهرة ، الانجلو المصرية ١٩٨٠
 ص ٩٦٤ — ٩٦٥ .

(٩) ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر
 بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب .

(١٠) محمود شاكى : ايران ، المكتب الاسلامى ١٣٩٥ هـ

ص ٥٣ .

وعن عباس الصفوى لا يأتون بأدلة على أنه لم يحول الناس من الحج الى مشهد بدلا من مكة وانما يقولون « أن ظلم الدولة العثمانية كان سببا فى اقدمه على هذا العمل ، وفى حجة الى قبر على الرضا فى مشهد دليل على تعظيمه وحبه للعرب^(١١) وان القضية — كما يزعمون سياسية ، وليست عقائدية وهذا افتراء كبير ومراوغة واضحة خصوصا وأن الصفويين لم يعطوا للبيت الحرام المكانة اللائقة به ، ولم يعطوا فريضة الحج مالها من شأن بين أركان الدين الاسلامى فأوضح الشاه اسماعيل الصفوى فى رسالة له الى « شبيك خان » زعيم الازبك أن زيارة امام من أئمة الشيعة فى قبره تساوى سبعين حجة نافلة كما وصل هذا الشاه الى أبعد من ذلك عندما أعلن بأن حج أهل السنة باطل وان للشيعة وحدهم الحق فى الحج ، يضاف الى ذلك أنه لم يهتم بتأمين طرق قوافل الحج القادمة من آسيا عبر ايران والعراق بل كان يشجع القبائل الموالية له على قطع الطريق ، وسلب أموال الحجاج والاعتداء على أرواحهم وأعراضهم^(١٢) .

(١١) عبد الله الغريب : وجاء دور المجوس ، القاهرة ، دار الجيل للطباعة ١٩٨١ ص ٨٢ .

(١٢) قدسية الحرمين الشريفين ، مقال بعنوان الاعتداءات الصفوية على الحرم المكى ص ٥٣ — ٥٤ .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل استحدث علماء الشيعة العديد من التغيرات العقائدية فى فريضة الحج فأخرجوا من المسور والآيات القرآنية والتفاسير المختلفة معان لا تتفق وروح الاسلام ، ومن هنا جاء خطر دعوتهم على العامة وأهم هذه الأمور هى فتوى علماء الشيعة الصفويين بأن من شروط الحج إعلان البراءة من المشركين من خلال مسيرات (١٣) اقتداء بسيرة الامام على بن أبى طالب عندما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم فى العام التاسع من الهجرة بقراءة بيان البراءة على الناس « وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » (١٤) .

والحقيقة أن بيان البراءة الذى أصدره النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن الهدف منه سوى نبذ العهد بين نبى الاسلام وبعض القبائل بقصد جعل مكة وحرماها مكانا اسلاميا خالصا لا يجوز أن يدخله مشرك ، واثبات أن الحج أصبح حجا اسلاميا خالصا بعد أن برئت الكعبة من الأصنام ولذلك

(١٣) قدسية الحرمين الشريفين : تحت عنوان الاعتداءات.

الصفوية على الحرم المكى ص ٥٦ .

(١٤) التوبة : الآية (٣) .

فلا يجب أن يحج إليها مشرك ، وألا يقرب المسجد الحرام (١٥) .

والسؤال المطروح هو : هل هناك حاجة الى اعلان البراءة من المشركين بعد أن طهرت مكة وما حولها منهم ، ولم يعد بها مشرك واحد وأصبحت خالصة للمسلمين لا يدخلها أحد غيرهم .

المواقع انه ليس هناك مكان لاعلان البراءة وشغل المسلمين بما ليس في دينهم ، ومن مناسك وشعائر حجبهم بل يجب أن يتفرغوا لأداء المناسك والشعائر خالصة لله كما شرعه المولى عز وجل ومع ذلك فقد حاول الايرانيون الادعاء بأن البراءة ينبغي أن تعلن من خلال مسيرات وذلك لترويع أمن الحجيج ، واستحداث ما يتنافى مع قدسية فريضة الحج ، وهذه بدعة ابتدعت لأغراض سياسية وهكذا يتضح مدى خطورة ما خطط له الصفويين من أهداف عدوانية ضد الاسلام، ومقدسات المسلمين مما أدى في نهاية الأمر الى تطور الأوضاع في العالم الاسلامي في غير صالح المسلمين ، فبدلاً من أن يكون بأس المسلمين على عدوهم أصبح بأسهم بينهم

(١٥) أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، القاهرة دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ص ٥٣٦

شديدا ، واستغل أعداء الاسلام هذه الفرصة وبدأوا فى مناصرة فريق من المسلمين على آخر بهدف زيادة اشغال الفرقة ، والقضاء على أى فرصة لجمع الشمل بين أبناء الأمة الاسلامية .

٢ - البرتغاليون والحرمان الشريفان :

بعد اندحار محاولات الصليبيين فى السيطرة على الحجاز والهجوم على مكة المكرمة ، عاود البرتغاليون نشاطهم حول شبه الجزيرة العربية ، وركزوا اهتمامهم نحو طريق البحر الأحمر الذى يوصل الى الأماكن الاسلامية المقدسة التى ترنو أنظار البرتغاليين اليها لتحقيق أهداف صليبية^(١٦) فشددوا قبضتهم عليه ، وحاولوا احكام الخناق على المسلمين ، والقضاء عليهم فمنعوا سفنهم الذاهبة الى جزيرة العرب ، وتعرضوا لحجاج بيت الله الحرام ولم يسمحوا لهم بالسفر الى مكة^(١٧) واضرموا النيران فى سفنهم ، والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها أن القائد البرتغالى « فاسكودى جاما » ، تعقب سفينة عربية عائدة من مكة المكرمة ، واستطاع أسرها

(١٦) بدر الدين الخصوصى : المرجع السابق ص ١٩ .

(١٧) عبد العزيز المناوى : تاريخ ظهور الاسلام فى ساحل

مليبار من خلال مخطوط المجاهدين فى بعض اخبار البرتغاليين ، بحث التى فى ندوة رأس الخيمة التاريخية الثالثة ، شعبان

واستولى على ما بها من بضائع ، ومنع اخراج أى راكب منها
ثم أصدر أوامره بإشعال النار فيها (١٨) .

والى جانب ذلك ، أرسل البرتغاليون جواسيسهم فى
قوافل الحجاج المتجهة من المغرب الى الحجاز عبر مصر حتى
يتمكنوا من جمع المعلومات عن القوى الاسلامية وأوضاعها
الداخلية وبعدها وضعوا مخططا صليبيا خطيرا للغاية تمثل فى
سيطرتهم على البحر الأحمر وفى استيلائهم على جدة ، ثم
الزحف منها الى مكة المكرمة لهدم الكعبة الشريفة (١٩) ، ثم
مواصلة الزحف الى المدينة المنورة لنهب قبر الرسول صلى
الله عليه وسلم ، ومواصلة الزحف بعد ذلك الى تبوك وصولا
الى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة (٢٠)
ولكن إرادة الله حطمت هذه الخطط الخبيثة وكشفتها عندما

(١٨) انظر : بانيكار : أسيا والسيطرة الغربية

(١٩) يؤكد ذلك ما ذكره القائد البرتغالى البوكيرك فى احدى
رسائله للملك عمانوئيل بقوله : « .. يكون من السهل تجهيز ٥٠٠
فارس برتغالى بمعداتهم للنزول فى جدة ، ومن هناك ينتقلون الى
مكة وهى رحلة يوم ليجعلوها رمادا » .

انظر مصطفى رمضان : العالم الاسلامى فى التاريخ الحديث
والمعاصر ص ٨٤ .

(٢٠) الشناوى : المرجع السابق د ٢ ص ٦٩٨ .

ارتاب الشريف بركات أمير مكة المكرمة فى ثلاثة أشخاص تسللوا الى مكة المكرمة فى ملابس العثمانيين ، وكانوا يحومون حول المسجد الحرام متظاهرين بأنهم من المسلمين ويتكلمون التركية والعربية • فلما قبض عليهم تبين أنهم من الافرنج (٢١) وباستجوابهم اتضح أنهم جواسيس برتغاليون بعثت بهم سلطات لشبونة للعمل كأدلاء للجيش البرتغالى الصليبي عند دخوله مكة • وقد وضعهم الشريف فى الحديد ، وبعث بهم الى السلطان الغورى فى مصر (٢٢) ، وكان ذلك فى نهاية دولة المماليك وقبل وصول العثمانيين الى البحر الأحمر •

وبعد نجاح العثمانيين فى هزيمة المماليك فى الشام ومصر فى معركتى مرج دابق والريدانية فى عامى ٩٢٢ ، ٩٢٣ هـ ، وضم بلاد الحجاز سلميا الى الدولة العثمانية استطاع العثمانيون بعد محاولات مستميتة من ابعاد البرتغاليين عن البحر الأحمر ، وتأمينه أمام الغزو البرتغالى ، وجعله طريقا بحريا للسفن الاسلامية فقط ، بحيث أصبح محرما على السفن غير الاسلامية تجاوز موقع ميناء « المخا » فى اليمن بحجة أن هذا البحر يطل على الأماكن الاسلامية المقدسة فى

(٢١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور د ٤

ص ١٩١ •

(٢٢) الشناوى : المرجع السابق د ٢ ص ٦٩٨ •

الحجاز (٢٣) ، كما استطاع العثمانيون بعد ذلك الاستيلاء على «سواكن ومصوع» ثم التحالف مع الحبشة على أساس إغلاق الموانئ الحبشية في وجه البرتغاليين .

وهكذا فشلت محاولات البرتغاليين الصليبية في تهرشاتها ضد الحرمين الشريفين ، ولم تتجح كسابقاتها ، وحفظ الله حرمة وحرم رسوله الأمين .

٣ - العثمانيون والحرمين الشريفان :

تولى العثمانيون حماية الحرمين في عام ٩٣٣ هـ بعد أن أعلن الشريف بركات أمير مكة المكرمة قبوله دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية ، وارساله مع ابنه «أبونمي» مفاتيح الكعبة الشريفة وبعض الآثار النبوية الى السلطان سليم بالقاهرة بعد فتحه لمصر ، ونتيجة لذلك تم دخول الحجاز دخولا تلقائيا وسلميا تحت السيادة العثمانية ويبرز الطابع الديني في اهتمام الدولة العثمانية باقليم الحجاز الذي أضفت تبعيته اليها مركزا دينيا مرموقا في جميع أنحاء العالم الاسلامي على أساس أنه يضم أهم الأماكن الإسلامية المقدسة ، وقيامها بالاشراف على قوافل الحج وتيسير أمور

(٢٣) الشناوى : المرجع السابق د ١ ص ١٨٦ .

الحج ألام الراغبين فيه وقيامهم بالاهتمام بالطرق وحفر الآبار واقامة المخافر على الطرق الموصلة الى مكة (٢٤) ، هذا الى جانب قيام السلطان سليم باقرار عدة امتيازات لاقليم الحجاز وهو لا يزال بالقاهرة ، وقد سار على نهجه سلاطين العثمانيين الذين تربعوا على عرش الدولة من بعده ، وعملوا على دعم هذه الامتيازات التي كان منها الاعفاء الضريبي ، فكان الحجاز لا يقدم جزية سنوية للدولة بل كان يتلقى اعتمادات مالية ضخمة كل عام ، يضاف الى ذلك أن أهل الحجاز تمتعوا بالاعفاء من الخدمة العسكرية •

والى جانب ذلك اهتم سلاطين الدولة العثمانية بابرار لقبين دينيين من ألقابهم العديدة هما لقب «حامى حمى الحرمين الشريفين» و «خادم الحرمين الشريفين» وذلك تأكيدا للزعامة الدينية للدولة العثمانية على العالم الاسلامى (٢٥) •

كما اهتم السلاطين العثمانيون بعمارة الحرمين الشريفين

(٢٤) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين مقال للدكتور الصفصافى المرسى تحت عنوان « قوافل الحج فى الدولة العثمانية » ص ٦٣ — ٦٤ .

(٢٥) الشناوى : المرجع السابق د ١ ص ٦٤ — ٦٦ ، ولتفاصيل ذلك انظر محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثمانى د ١ بيروت ، دار صادر ١٣٣٤ هـ / ١٩٣٥ م ص ١٣٤ .

والقيام بعمل بعض الإصلاحات والترميمات فيها ففى عام ٩٦٠هـ غير السلطان سليمان القانونى سقف الكعبة ، وفى عام ٩٧٩هـ أمر السلطان سليم خان الثانى ببناء العديد من القباب ، وتجديد أبنية المسجد الحرام تجديدا كاملا (٢٦) ، كما اهتم السلطان أحمد بترميم الكعبة ، وفى عام ١٠٣٩هـ أمر السلطان مراد بآءة بناء الكعبة وذلك أثر حدوث سيل كبير أصاب مكة ودخل المسجد الحرام وانهارت مياه الأمطار الى داخل الكعبة (٢٧) ، فأرسل السلطان مراد المهندسين والعمال لتشييد ما تصدع من أجزاء الكعبة واستمر العمل فى ذلك ستة شهور (٢٨) .

يضاف الى ذلك ان السلطان عبد الحميد الثانى أمر فى عام ١٣١٤هـ بتعمير المسجد الحرام ، كما قام بذلك أيضا السلطان محمد رشاد فى عام ١٣٣٧هـ (٢٩) حتى بلغ ما انفقـه

(٢٦) السيد أبو الفضل : مكة فى عصر ما قبل الاسلام ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ ص ١٢٤ .

(٢٧) محمود الشرقاوى : مكة المكرمة ص ١٥٦ ، وانظر أيضا وتموت الفتنة ص ٢٥ — ٢٦ .

(٢٨) الخربوطلى : تاريخ الكعبة ص ١٧٢ .

(٢٩) سيد عبد المجيد : أشهر المساجد فى الاسلام د ١ ، جدة ١٤٠٠ هـ ص ٢٦ — ٢٩ .

العثمانيون على العمائر فى المسجد الحرام ما يقارب المئة ألف جنيه عثمانى^(٣٠) .

أما عن المسجد النبوى الشريف فقد اهتم العثمانيون بعمارته وأبرز الأدلة على ذلك ما يحمله المسجد حتى الآن من آثار تمثل فن العمارة العثمانية^(٣١) وإلى جانب ذلك فانه انطلاقا من ادراك العثمانيين لأهمية ولاية الحجاز ، وتيسيرا لأداء فريضة الحج انبثقت فكرة مشروع سكة حديد الحجاز لازالة ما كان يواجه الحاج من صعوبات كثيرة فى ذهابهم وإيابهم^(٣٢) .

ومع أن الحرمين الشريفين فى ظل الحكم العثمانى تمتعا بالهدوء والامن لفترة ليست بالقصيرة فان ذلك لم يمنع من حدوث بعض الفتن التى عكرت الامن وروعت الحجاج ومن ذلك نذكر :

(٣٠) أحمد السباعى : تاريخ مكة ح ٢ ، مكة المكرمة ، نادى مكة الثقافى ، الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ ص ٤٧٧ .

(٣١) لتفاصيل ذلك انظر : صالح لمى : المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨١ ص ٧٥ وما بعدها .

(٣٢) أحمد الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، الأردن ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ص ٥ .

١ — فى عام ٩٥٨ هـ حدثت بعض الخلافات بين محمود باشا أمير الحج المصرى ، ووالى مكة أبو ندى ووصل بهما الامر الى درجة الاحتكاك المسلح وقيام أمير الحج المصرى بالدعوة الى عزل شريف مكة ، مما أدى الى هياج الحجاج دون أن يؤدوا شعائر الحج (٣٣) .

٢ — فى رمضان ١٠٨١ هـ هاجم رجل فارسى خطيب المسجد الحرام وهو يخطب الجمعة مستلا سيفه يريد قتله وهو يصيح بالفارسية انه المهدي المنتظر ، فحال المصلون دونه ، وتكاثروا عليه ، وأوسعوه ضربا حتى وقع مغشيا عليه ثم سحبوه حتى انتهوا به الى ناحية فى المعلاة فأوقدوا فيه النار وأحرقوه (٣٤) .

٣ — فى شوال ١٠٨٨ هـ اتهم الناس بعض الحجاج الشيعة بتلطيف الكعبة وتلوينها بالقاذورات ، ونتيجة لذلك حدثت مصادمات داخل الحرم بين الاثراك المجاورين والحجاج وبين بعض الشيعة ، وقتل بعض الاشخاص رميا

(٣٢) وتموت الفتنة ص ٤١ .

(٣٤) السباعى : المرجع السابق ص ٣٧٧ .

بالحجارة وضرباً بالسيوف ، كما أخرج الأتراك الحجاج الشيعة الى باب السلام وقتلوا العديدين منهم (٣٥) .

٤ — فى عام ١٢٠٣ هـ وبينما كان الشيخ عبد السلام الحرشى خطيب المسجد الحرام يخطب فوق المنبر تعرض له حاج من البنغال وضربه بسكين أخرج بها أمعاءه فسقط ميتاً وعندئذ ثار المصلون فى ضجة عظيمة ثم ما لبث أن تقدم أحد العلماء فأتى الخطبة وأقيمت الصلاة وهذا الاضطراب ، وسبق الجانى الى حيث حكم عليه بالاعدام شنقاً (٣٦) .

٣ — وفى عام ١٢٠٤ هـ حدث نزاع بين الشريف غالب بن مساعد شريف مكة واخيه الشريف سرور ، وتطور الامر الى قيام بعض الغلمان التابعين لابن الشريف سرور باقتحام المسجد الحرام ببنادقهم واطلاقهم النيران من داخله ، ونظراً لتفاقم الموقف اعتصم الناس فى بيوتهم

(٣٥) السباعى : المرجع السابق ص ٣٨٤ .
ويرى دحلان ان الكعبة لم تلوث بالقاذورات وانما بنوع من انواع الخضروات عجن بعدس وأدهان معفونات فصارت كريهة ،
انظر خلاصة الكلام ص ٩٧ .

(٣٦) زينى دحلان : المرجع السابق ص ٢٢٦ تحت عنوان
« ذكر قتل الخطيب » والسباعى : مكة ص ٤٤٩ .

وجرد الشريف غالب بعض جنده لتطهير المسجد الحرام من معارضيه فخرجوا من المسجد ، ودارت الحرب بين الطرفين وانطلقت الطلقات النارية حول المسجد مدة أربعة أيام بلياليها ، وانقطعت الصلوات الخمس فى المسجد الحرام ، وتوقف الطواف به تماماً ، وانتهى الامر بتملك الشريف غالب لزممام الامور (٣٧) .

وخلال تلك الفترة وبالتحديد فى عام ١٢١٣/١٧٩٨م تزايدت بوادر المخاطر على الحرمين الشريفين حيث جاءت الحملة الفرنسية على مصر وبات خطرهما يهدد منطقة الحجاز ، مما جعل الشريف غالب يرسل الى بونابرت يسأله ويصالحه حتى يأمن شره ، ويبعد ضرره (٣٨) .

ومع ان بونابرت حاول ازالة مخاوف شريف مكة كما حاول توطيد علاقته معه (٣٩) ، ونفى الشائعات التى تقول انه يريد القضاء على الدين المسمى وارغام المسلمين

(٣٧) وتموت الفتنة ص ٤٢ .

(٣٨) سيد مصطفى سالم : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر القاهرة ١٩٧٥ ص ١٢٨ .

(٣٩) عن كتابات بونابرت الى شريف مكة انظر محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ص ٩٩ .

على اعتناق المسيحية فان المخاوف من ضرره على الحرمين ظلت مستمرة خصوصا بعد أن قام جنوده بدخول الأزهر بخيولهم وحطموه قناديله وقتلوا المصلين ، وجعلوا منه اصطبلا إخيلهم يضاف الى ذلك أن أعداء الاسلام بعد استيلائهم على العديد من بلدان العالم الاسلامي أخذوا يتنبهون لاهمية الدور الناتج عن أداء فريضة الحج ، نظرا لاجتماع أكبر عدد من مسلمي العالم في مكة المكرمة ومدى تأثير ذلك على مصالحهم الاستعمارية ، فبدأوا في الكيد للمسلمين ، وحاولوا وضع العقبات أمام تأديتهم لفريضة الحج ، وبرز الامثلة على ذلك محاولة الانجليز تعطيل قوافل الحج أو التقليل من عدد المشاركين فيها على الاقل باسم الاحتياطات الصحية تارة ، ورفع الضرائب على المشاركين في الحج تارة أخرى ، وتعطيل السلطات الفرنسية في شمال افريقيا لقوافل الحج في اعوام ١٨٩٩م ، ١٩٠٠م ، ١٩٠١م ، وقيام روسيا بمنع رعايا المسلمين في عام ١٩٠٢م من أداء فريضة الحج^(٤٠) .

والى جانب هذه الاحداث فلم يسلم الحجاج في العصر العثماني من اعتداءات العربان عليهم نتيجة لاختلال

(٤٠) أحمد الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، الزرقاء ، الأردن ، مكتبة المنار ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ١٨٠ .

الامن هذا بالاضافة الى وعورة الطرق ، وقلّة الماء وصعوبة وصول المزداد لدرجة ان الحجاج اذا خرجوا من بلادهم للحج كان أهاليهم يعدونهم فى عداد المفقودين ، فكثيرا ما كانت الام تفقد ولدها ، والزوجة زوجها ، والولد أمه ، والزوج زوجته ، والغنى ماله ، والفقر ثيابه ، ويؤكد ذلك المثل الذى كان يتردد على افواه الناس فى ذلك الوقت « الزاهب الى الحج مفقود والعائد مولود » •

وقد نظم أمير الشعراء أحمد شوقى قصيدة صصور فيها ما كان الحجاج يعانون من تصدى العربان لهم ، والمظالم التى مارسها قطاع طريق الحجاج • وقد وجه شوقى قصيدته الى السلطان عبد الحميد • وقال فيها :

ضج الحجاز وضج البيت والحرم
واستصرخت ربها فى مكة الامم

قد مسها فى حماك الضر فاقض لها
خليفة الله أنت السيد الحكيم

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا
ان أنت لم تنتقم فالله منتقم

أفى الضحى وعيون الجند ناظرة
تسبى النساء ويؤذى الاهل والحشم

ويسفك الدم فى أرض مقدسة
وتستباح بها الاعراض والحرم
* * *

خليفة الله شكوى المسلمين
رقت لله .. هل ترقى لك الكلم ؟

ونتيجة لذلك علا ضجيج المسلمين بالشكوى الى
السلطان العثمانى يطالبونه بارسال القوات على طريق
الحج كل عام لحفظ أمن الحجيج من عبث العابثين ، وظلم
الظالمين ، وحتى لا ينقض عليهم الاعراب سلبا ونهباً
وقتلاً ، ويسومونهم سوء العذاب (٤١) .

وعلى الرغم من أن أبرز مهام الدولة العثمانية كانت
تقتضى تأمين المحافظة على أمن الحجيج ، وتأمين طرق
الحج ، فان العثمانيين فى أواخر عهدهم عجزوا فى كثير من
الاحيان عن الاضطلاع بهذه المهام .

واستمرت الامور على هذا المنوال حتى قامت ثورة
الشريف حسين بن على ضد الاتراك فى ٩ شعبان ١٣٣٤هـ

(٤١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية
والحج ومشاعره الدينية ، المجلد الثانى ، القاهرة
ص ٧٧ — ٧٨ .

٥ يونيو ١٩١٦م وبدأ رجاله فى حصار الجنود العثمانيين بمكة بهدف اخراجهم منها ، وخلال دفاع الاتراك عن مواقعهم بدأوا فى ضرب مكة من قلعة « أجیاد » بالمدافع فاشعلوا النيران فى عدة مساكن ، كما أصيب البيت العتيق بقنبلتين من قنابل مدافعهم فوقعت أحدهما فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع ، والتهمت النيران فى أستار البيت ، ونتيجة لذلك هرع ألوف المسلمين لاطفاء هذه النيران ، وفتح باب البيت العتيق وصعد الاهالى الى سطحه حتى يتمكنوا من اطفاء اللهب ، وما أن انطفأت النيران حتى القى الاتراك بقنبلة ثالثة بالقرب من مقام ابراهيم (٤٢) .

وبذلك انتهكت مدافع الاتراك حرمة الكعبة والمسجد الحرام مما أساء لموقفهم أمام المسلمين ، وجعل العالم الاسلامى ينقم عليهم ويؤيد ثورة الشريف حسين ضدهم (٤٣) .

(٤٢) أحمد عبد الغفور عطار : الكعبة ص ١١٥ — ١١٦ .

(٤٣) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة المجلد الأول ، مكة المكرمة ، الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٥٤٥ .

وعلى الرغم من استهجاننا لما حدث ، فمن المعتقد أن الجنود الاتراك اخطأوا الرمي ، ولم يقصدوا اصابة الكعبة ، وكيف لا وهم مسلمون ويتجهون فى صلواتهم الخمسة اليها •

ومما سبق يتضح أن العثمانيين اهتموا خلال فترة قوتهم بأمور الحجاز ، والاشراف على قوافل الحج التى كانت تخرج من كافة انحاء العالم الاسلامى الى الاراضى المقدسة أما فى الفترة اللاحقة من حكمهم فقد أهملوا شئون الحج لدرجة أن الحجيج كانوا لا يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم من شرور العابثين قطاع الطرق •

الدولة السعودية الأولى والحرمان الشريفان :

بعد أن أشتدت شوكة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأوجدت فزعا لدى معارضيه وحاولوا مناهضتها والاساءة اليها فشنوا عليها حربا نفسية وفكرية لاهوادة فيها بهدف ابعاد المسلمين عنها ، وايغار صدورهم ضدها فذكروا أن اتباع الدعوة بعد وصولهم الى مكة روعوا الحجيج ، وأنهم عطلوا سبل الحج الى الحرمين الشريفين ،

وفانه من الواجب التخلص من هذه الدعوة استنفاداً للأماكن المقدسة من سيطرتهم^(٤٤) .

والحقيقة غير ذلك ، والصحيح هو أن الأمير سعود ابن عبد العزيز عندما تمكن من دخول مكة فى عام ١٢١٧ هـ انتظر حتى قضى الحجاج مناسكهم وعادوا الى بلادهم .وبعدها دخل مكة محرماً ومعه جنده فى الثامن من محرم ١٢١٨ هـ وهم رافعون أصواتهم عالية بالتلبية والتكبير والتهليل، خافضين رؤوسهم من خشية الله . ثم اجتمع الأمير سعود مع الناس بعد ذلك فى الحرم ودعاهم الى التوحيد^(٤٥) .

يضاف الى ذلك ان اتباع الدعوة لم يمنعوا أحداً من الحج الا اذا كان مخالفاً للطرق الشرعية والتعاليم

(٤٤) مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، المجلد الأول رجب ١٤٠٩ هـ مقال للدكتور عبد المنعم الجيمى بعنوان « دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابات المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرى » .

(٤٥) حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ محمد عبد الوهاب ، بيروت ٣٧٦ — ٢٧٧ .

الاسلامية الصحيحة ، وقد أكد ذلك المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي بقوله « والحال ليس كذلك فإنه لم يمنع أحدا يأتى للحج على الطريقة المشروعة وانما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل الزمر وحمل الأسلحة » وضرب مثلا بالحجاج المغاربة الذين اتبعوا الطرق الشرعية أثناء الحج فلم يعترضهم أحد فقال « حجوا وقضوا مناسكهم دون أن يعترض لهم أحد بشئ » (٤٦) .

كما أوضح الجبرتي أن اتباع الدعوة لم يمنعوا قوافل الحجيج التى يتبع أصحابها البدع والطبل والزمر فجأة (٤٧) ، بل أعطوا لأصحابها الفرصة ، ونصحوهم بنبذ

(٤٦) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار د ٤ ص ٩٠ تحت عنوان « واستهل شهر شوال : يوم الأحد سنة ١٢٢٣ هـ » .

(٤٧) أكد ذلك المؤرخ الأمريكى لوثرروب ستودارد موضحا ان ابن سعود لم يمنع قافلة الحج الشامى بل طلب من أميرها عبد الله باشا والى الشام أن يدخل الى مكة ، ويقضى مناسك الحج هو وأصحابه .

انظر : حاضرم العالم الاسلامى د ٤ — ترجمة عجاج نويهض

هذه العادات داخل الأماكن المقدسة فى المرات القادمة فذكر فى خلال حديثه عن المحمل المصرى وما يصحبه من طبل وزمر أن اتباع الدعوة قالوا للمسئولين عن المحمل « لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا به بعد هذه المرة » وحذروهم من تكرار ذلك (٤٧) .

ونظرا لتكرار هذه المخالفات فى قافلة الحج الشامى ومخالفة أصحابها للشروط التى اشترطها عليهم اتباع الدعوة واصرارهم على استعمال الطبل والزمر والأسلحة فقد رد اتباع الدعوة على ذلك بأنهم أرسلوا لأمر هذه القافلة يقولون له « لا تأت الا على الشروط التى شرطناها عليك فى العام الماضى » ولما سمع بذلك رجع بالقافلة من غير حج لاصراره على اتباع الطريقة التى تتعارض مع الاسلام الصحيح (٤٨) .

والواقع أن اتباع الدعوة لم يمنعوا أحدا من تأدية شعائر الحج فى أى وقت من الأوقات خصوصا وان تمسكهم بأركان الاسلام التى من بينها حج بيت الله الحرام ، ورغبتهم فى احياء المبادئ الاسلامية الصحيحة

(٤٧) الجبرتى : المصدر السابق د ٤ ص ٥٤ تحت عنوان

« واستهل شهر صفر بيوم الجمعة سنة ١٢٢٢ هـ » .

(٤٨) الجبرتى : المصدر السابق د ٤ ص ٥٣ .

تجعل من الصعب اتهامهم بذلك ، وربما تكون ظروفه الحرب بين الدعوة وخصومها هي التي ساعدت على ترويض هذه الشائعات ، ويبدو ذلك واضحاً في انه بعد أن استقرت الأمور لرجال الدعوة تأكدت سلامة الحج وتأدية المناسك •

يضاف الى ذلك انه عندما اشتدت شوكة الدعوة وانتشرت وازداد اتباعها خشي أصحاب المنافع من البدع والأباطيل على مصالحهم فأخذوا في إثارة القلاقل وبث الدعايات المغرضة ضدها ، واستنجدوا بالسلطين العثمانيين بحجة قيام أنصار الدعوة بالاستيلاء على ما في الحجرة النبوية الشريفة من مجوهرات وأموال وتحف •

والحقيقة أن هذه الأشياء « وضعها سخاف العقول من الأغنياء من الملوك والسلطين الأعاجم وغيرها اما حرصاً على الدنيا ، وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم ، أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ، ودفع الأعداء فلما تقادمت عليها الأزمنة .. ارتسم في الأذهان حرمة تناولها وانها صارت مالا للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد أخذها ولا انفاقها » (٤٩) •

(٤٩) الجبرتي : المصدر السابق د ٤ ص ٩٠ تحت عنوان « واستهل شهر ذي الحجة بيوم الثلاثاء ١٢٢٣ هـ » •

وقد علق المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي على ذلك بقوله
« والنبي عليه الصلاة والسلام منزّه عن ذلك ، ولم يدخر
شيئا من عرض الدنيا فى حياته ، وقد أعطاه الله الشرف
الاعلى وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب ،
واختاره أن يكون نبيا عبدا ولم يختار أن يكون نبيا
ملكا » (٥٠) .

واستعان الجبرتي فى اثبات تعفف النبي صلى الله
عليه وسلم وزهده فى الدنيا بما رواه الترمذى أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال « عرض على ربي ليجعل لى
بطحاء مكة ذهباً قلت لا يارب ، ولكن أشبع يوما وأجوع
يوما » فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت شكرتك
وحمدتك » (٥١) .

كما ذكر موضحا بأنه اذا كان الرسول صلى الله عليه
وسلم قد منع بنى هاشم فى حياته من تناول الصدقة،
وحرمها عليهم فان كنز المال فى حجرته الشريفة ، وحرمان
مستحققيه من الفقراء والمساكين والمحتاجين أمر لا يوافق

(٥٠) الجبرتي : المصدر السابق د ٤ ص ٩٠ .

(٥١) الترمذى : باب الزهد ٣٥ وايضا تحفة الأحوزى بشرح
جامع الترمذى د ٧ ص ١٢ — ١٤ .

عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الشرع (٥٢) فليس
فى الدين تقديم الهدايا وتعليقها لقبر الرسول صلى الله
عليه وسلم ، كما أن الدين يحرم كنز الذهب والفضة ،
ويأمر بانفاقها فى سبيل الله ، يضاف الى ذلك أن
الامام سعود كان قد استفتى علماء المدينة بصرف ما فى
الحجرة الشريفة فى منفعة الاسلام والمسلمين فأفتوه
بذلك موضحين انه ينبغى على ولى الامر اخراج المال الذى
فى الحجرة ، وصرفه فى حاجة أهل المدينة وجيران الحرم
خصوصا وأن الحاجة والضرورة كانت قد اشتدت الى اخراج
هذا المال وانفاقه (٥٣) .

ومن هنا كانت الاكاذيب التى ردها أعداء الدعوة
حول هذا الموضوع للنيل منها ومن أصحابها ، قد فندتها
الحقائق ودحضتها .

(٥٢) الجبرى : المصدر السابق ج ١ ص ٩١ .

(٥٣) محمد أديب غالب : من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ
الجبرى . الرياض ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ،
الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ص ١١٣ .

الحرمان الشريفان بعد قيام المملكة العربية السعودية :

بعد تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز آل سعود فى عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م عاد الامن والامان الى الحرمين الشريفين ، وأصبح الحاج يأمن على نفسه من اللصوص والاعراب ، وينام فى عرض الصحراء لا يمنعه باب ولا يحميه حارس ولا يخالط نفسه خوف ولا جزع^(٥٤) ونعم الحرمان بالعمارة والتوسعة والصيانة والخدمة^(٥٥) وأصبحت هذه البلاد قبلة المسلمين ومحط قلوبهم كما أصبحت معقل الدين^(٥٦) ، وشعر العالم الاسلامى بتحمل المملكة العربية السعودية لهذه المسؤولية

(٥٤) رابح لطفى جمعة : حالة الأمن فى عهد الملك عبد العزيز ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ص ٧٧ .

(٥٥) لتفاصيل ذلك انظر : سيد محمد ابراهيم : تاريخ المملكة العربية السعودية ، الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة ١٣٩٣هـ ص ٢٧٤ ، وايضا محى الدين القابسى : فهد فى صور ، الرياض ، المطابع الأهلية ، ١٤٠٤هـ ص ٢٥٨ .

(٥٦) أبو الحسن الندوى ، كيف ينظر المسلمون الى الحجاز وجزيرة العرب ، دار الاعتصام ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ ص ٣٢ .

العظيمة وقدرتها على حماية الحرمين الشريفين ، ولكن رأس الفتنة القرمطية لم تلبث أن ظهرت من جديد فى محاولات يائسة لامتهان حرمة الاماكن المقدسة وفيما يلى نعرض للاعتداءات على الحرمين الشريفين خلال العهد السعوى .

حادث الطائف ذى الحجة ١٣٥٣ هـ :

فى صباح الجمعة العاشر من ذى الحجة ١٣٥٣ هـ وخلال نزول الملك عبد العزيز آل سعود من منى الى مكة ليؤدى فروض ربه ويصلى صلاة عيد الاضحى المبارك ويطوف طواف الافاضة فى بساطته المشهورة ، وبينما هو فى الشوط الرابع من الطواف وعلى يساره البيت الحرام وخلفه ابنه الأكبر سعود مع رجال حاشيته ورجال الشرطة^(٥٧) فاذا برجل يخرج من الفجوة الشامية لحجر اسماعيل وقد اسنل خنجرا ، وصاح صيحات منكرة ، واندفع نحو الملك الذى كان قد فرغ لتوه من تقبيل الحجر الأسود^(٥٨) فتصدى له الشرطى أحمد بن موسى العسيرى الا أن الرجل عاجله بطعنة من خنجره كانت فيها حقه فوقع على صحن

(٥٧) محمد طاهر المكي : مقام ابراهيم ص ٧٥ .

(٥٨) وتبوت الفتنة ص ٤٥ .

المطاف يتضرج دمه على أقدس بقعة فى الأرض^(٥٩) ثم تصدى له جندى آخر فوقع له ما وقع لرفيقه^(٦٠) وخلال ذلك عاجل « عبد الله البرقاوى » من الحرس الخاص للملك المجرم الاول بطلقة أردته لفوره^(٦١) ، كما عاجل الحارس « خير الله » الحارس الخاص للامير سعود المجرم الثانى برصاصة طرحته صريعا . ثم خرج أيضا من الحجر مجرم ثالث واتجه من ناحية الركن اليمانى الى الحجر الاسود للاشتراك فى الجريمة ، ولما رأى ما حل برفقائه حاول الهرب ، واطلق ساقيه للريح فرارا ، ولكن رصاص الشرطة أدركه فسقط صريعا بالمسجد الحرام جهة باب ابراهيم^(٦٢) .

وقد أمر الملك عبد العزيز باغلاق أبواب الحرم ، وعاد الى اتمام طوافه ، كأنه لم يكن هناك شئ وخرج بعد

(٥٩) أحمد عبد الغفور عطار : صقر الجزيرة ، المجلد الثانى د ١ بيروت ص ١١٧٢ .

(٦٠) المكى : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٦١) خير الدين الزركلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز د ٢ بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ص ٦١٩ .

(٦٢) عطار : المرجع السابق ص ١١٧٢ .

(٦٣) المكى : المرجع السابق ص ٧٦ .

الشروط السابع مسرعا الى منى قبيل انتشار الخبر الى الحجيج (٦٤) وحرصا على سلامة الحجاج وخاصة اليمنيين لأن هؤلاء المعتدين كانوا من اليمنيين الزيديين ، ولولا سرعة تدارك الموقف لعكرت هذه الحادثة صفو الحجيج ، وأودت بهم الى كارثة مخيفة (٦٥) ولولا حكمة الملك فى هذه المسألة لعظم الخطب واشتدت الفتنة (٦٦) .

وعلى كل حال فقد اظهر العالم الاسلامى تضامنه مع مؤسس المملكة وأعلن استنكاره للحادث مما أوضح تكاتف المسلمين والعرب واتحادهم وتعاضدهم خلال المحن ، كما أعطى المثل الأعلى على احترام المسلمين لحرمت البيت العتيق ، ورغبتهم فى صيانة هذه البلاد المقدسة وجعلها مثابة للناس وأمنا (٦٧) .

كما وصل المهنئون من كل مكان لتهنئة الملك على مقدرته فى معالجة الموقف ، وقد قال مؤسس المملكة لمهنييه انه

(٦٤) الزركلى : شبه الجزيرة ح ٢ ص ٦١٩ .

(٦٥) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، المجلد الثانى ، دار الكتاب العربى ص ٣٨٩ .

(٦٦) المكى : المرجع السابق ص ٧٦ .

(٦٧) محى الدين القايسى (اعداد) المصحف والسيف — مجموعة من خطابات وكلمات وأحاديث ومذكرات الملك عبد العزيز الرياض ، دار الناصر ، الطبعة الثانية ص ٢٨٠ .

لا يهيمه الا اقامة كلمة التوحيد .. ولم يكن همه غير المحافظة على الحجاج ، ومنع تسرب أخبار الحادث الى خارج الحرم وانه أمر باغلاق أبواب الحرم ، ومنع سفك الدماء فيه (٦٨) .

والواقع أن هؤلاء البغاة المفسدين الذين ابتغوا الفتنة فى الحج واقدموا على هذا العمل غير المسئول فقدوا كل معانى الاخلاق والانسانية ، وليس فيهم دين يمنعهم ولا شهامة تردعهم ، فقد اعتدوا على حرمة الدين وبيت الله الحرام واليوم الحرام والشهر الحرام فى البلد الذى شرفه الله تعالى بالحرمة ، والمكان الذى يتجه اليه أبناء الاسلام بابصارهم وتهفوا اليه قلوبهم .

جريمة الاعتداء على البيت الحرام فى غرة المحرم ١٤٠٠هـ

فى يوم الثلاثاء أول أيام شهر محرم من عام ١٤٠٠هـ تسللت زمرة تعتنق افكارا دينية متطرفة الى المسجد الحرام ومعهم بعض الأسلحة والذخيرة ولم يكد الامام ينتهى من صلاة الفجر حتى قام بعض أفراد هذه الزمرة بالادعاء أن من بين أفرادها المهدي المنتظر وطالبت المسلمين تحت وطأة السلاح بمبايعته والاعتراف به بهذه الصفة ، وهددوا كل

من لم يستجب لمطالبهم كما قام أحد أفراد هذه المجموعة
بالبقاء خطاب تحدث فيه عن المهدي وعلاماته المميزة (٦٩) .

وفى نفس الوقت قامت مجموعة من هؤلاء باغلاق
أبواب الحرم من الداخل والانتشار حول أبوابه المغلقة ،
وقامت مجموعة أخرى بالصعود الى منائر الحرم والتوزع
على أروقته واطلاق النار على شرطة الحرم (٧٠) مما أغزر
المصلين وروعهم .

وعن أهداف هذه الفئة فقد انحصرت فى انتهاك حرمة
المسجد الحرام ، وترويع المؤمنين الآمنين ، وسفك دماء
الأبرياء ، وتتويج أحدهم مهديا خروجا على الدين الاسلامى
والغلو فى تفسير العقيدة الاسلامية ومحاولة وضعها فى غير
اطارها الصحيح وبذر بذور الفتنة والضلال وبث الفوضى
والاضطرابات وتفريق كلمة المسلمين هذا بالاضافة الى
تحريمهم للراديو والتليفزيون (٧١) .

(٦٩) جريدة الندوة : وتموت الفتنة ، جدة ، دار تهامة ،
الطبعة الاولى ١٤٠٠ هـ ص ١٠٣ .

(٧٠) من حديث ولى العهد عن الفتنة وابعادها لمجلة الوطن
العربى نقلا عن « وتموت الفتنة » ص ٦٠ — ٦٢ .

(٧١) من حديث الأمير نايف فى المؤتمر الصحفى الذى عقد
بقاعة المحاضرات بوزارة الداخلية فى ٢٥ صفر ١٤٠٠ هـ .

وحسباً للموقف بطريقة شرعية طلب الملك خالد بن عبد العزيز رأى المشايخ فى معالجة هذه الفتنة ، فأصدر علماء المملكة فتوى شرعية تحدد طبيعة التعامل الشرعى مع هذه الشرذمة التى انتهكت حرمة البيت العتيق وروعت زواره وذلك بدعوتهم الى الاستسلام ووضع السلاح فان فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر فى أمرهم شرعاً ، وان امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو أدى ذلك الى قتلهم امتثالاً لقوله تعالى « ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين » .

ونتيجة ذلك طلب المسئولون من الفئة المضللة عبر مكبرات الصوت وقبل البدء فى اقتحام الحرم أن يلقوا السلاح ويستسلموا فى مقابل تأمينهم على حياتهم ، كما وجه اليهم الشيخ « عبد الله بن حميد » رئيس مجلس القضاء الأعلى كلمة بين لهم فيها خطأ ما ارتكبوه وطالبهم بالاستسلام حتى يحقنوا دماءهم ودماء المسلمين ولكنهم لم يستجيبوا وأصرروا على القتال حتى آخر لحظة وبدأوا يطلقون النار خارج الحرم وقتلوا الأبرياء حتى رجال الاسعاف لم يسلموا

(٧٢) عن فتوى أصحاب الفضيلة العلماء فى المملكة انظر :
وتموت الفتنة ص ٢٠٩ — ٢١١ .

(٧٣) من حديث الأمير نايف السابق ذكره ص ٨٦ .

من أذاهم • ومن هنا كان لابد من استعمال القوة لتخليص الحرم من مخاطرهم ، فحاصرت مختلف قوى الأمن المسجد الحرام والطرق المؤدية إليه حتى لا يتمكن أحد من المعتدين من الهرب •

ونتيجة لهذه الأحداث المروعة فقد صدرت الأوامر المبنية على الفتاوى الشرعية بتنفيذ حكم الله فى هذه الفئة الباغية التى اعتدت على بيت الله الحرام وحرمات المسلمين ومعاقبتها بما تستحق واعادة الأمن الى بيت الله الحرام •

وكان هدف المسؤولين فى المملكة من بداية الفتنة تنحصر فيما يلى :

١ — المحافظة على بيت الله الحرام من التهدم أو الاصابة بأى أضرار •

٢ — المحافظة على أرواح المسلمين الموجودين داخل الحرم من المصلين والطائفين •

٣ — القبض على الأفراد المعتدين على حرم الله احياء بقدر الامكان •

٤ — التقليل من الخسائر عند اقتحام المسجد الا فى حالة الضرورة (٧٤) •

وفى نهاية الأمر تمكنت قوى الأمن السعودية من استخلاص المسجد الحرام من مغتصبه بعد أن تتابع رجالها من كافة الأسلحة يطلبون الشهادة ونجحت فى تحقيق أهدافها كاملة حيث تم انقاذ الأبرياء وصيانة الحرم المكى وتخليصه من هذه الفئة غير المسئولة بالاضافة الى القبض على ١٧٠ فردا منهم أحياء لاستجوابهم ومحاكمتهم على جرائمهم البشعة التى ارتكبت فى بيت الله الحرام ، وفى الشهر الحرام وفى اليوم الحرام ، وفى الساعة الثانية من فجر الثلاثاء ١٥ محرم ١٤٠٠هـ أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية تطهير المسجد الحرام من جميع أفراد الطغمة الفاسدة الخارجة عن الدين (٧٥) •

كما أعلن عن أسر أبرز زعماء هذه الفئة وهو «جهيمان ابن يوسف العتيبي» بعد القبض عليه مختفيا فى أحد الأقبية المعزلة بالمسجد ، وقتل « محمد بن عبد الله القحطاني »

(٧٤) حديث الأمير فهد بن عبد العزيز عن فتنة المسجد الحرام انى مجلة النيوزويك الأمريكية •

(٧٥) وتموت الفتنة ص ١٢١ •

الذى زعم أنه المهدي المنتظر أثناء اقتحام معقل الزمرة الضالة
فى قبو المسجد الحرام (٧٦) •

والسؤال المطروح من أين حصلت هذه الفئة المضللة
على السلاح ؟

الواقع أن المعتدين دخلوا الحرم بسلاح يتكون من بنادق
ورشاشات تشيكية الصنع تسربت الى المملكة من حرب اليمن
عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م وبعضها من حرب لبنان كما كان بعضهم
يحمل مسدسات وبنادق صيد (٧٧) •

وقد اتضح من التحقيقات ان هذه الجريمة ليس لها أى
مضمون سياسى بل انها حدثت من أفراد خرجوا عن حقيقة
الدين الاسلامى فى اطار اجرامى كما اتضح ان هذه المجموعة
كانت مكونة من سعوديين ومصريين وكويتيين ويمنيين
وباكستانيين ومغاربة (٧٨) •

(٧٦) وتموت الفتنة ص ١٣٢ •

(٧٧) من حديث الامير نايف بن عبد العزيز خلال الندوة
التي أقامتها جامعة الرياض مساء الثلاثاء ٢٠/٢/١٤٠٠هـ بخصوص
الفتنة فى المسجد الحرام •

انظر : وتموت الفتنة ص ٧٢ ، ٧٥ •

(٧٨) وتموت الفتنة ص ١٢٢ •

وبعد انتهاء التحقيقات تم فى صباح الأربعاء تنفيذ حكم
الاعدام فى عدد ٦٣ من أفراد الفئة الباغية التى اعتدت على
المسجد الحرام فى غرة شهر المحرم ، وقد نفذ الحكم فى
عدد من مدن المملكة •

أما الذين كان جرمهم أقل من هؤلاء فكان جزاؤهم
السجن لمدد متفاوتة حسب جريمة كل منهم (٧٩) •

وفى مساء يوم الخميس ١٧ محرم عام ١٤٠٠ قام الملك
خالد بن عبد العزيز بالطواف بالكعبة المشرفة وفتح المسجد
الحرام للمصلين بعد تطهيره من المارقين ودخلته ألوف
المسلمين مهللين مكبرين •

وخلال هذه المحنة وقفت الشعوب الاسلامية قلبا واحدا
بجانب المملكة وأعلنت عن استنكارها واستهجانها ومقتها لعمل
تلك الفئة الظالمة التى روعت أمن البلد الذى شرفه الله
بالحرمة ، والبيت الذى عظم الله أمره وجعله مثابة للناس
وأمناء (٨٠) •

(٧٩) عن الأحكام وتنفيذ الاعدام . انظر وتموت الفتنة
ص ٢١٧ — ٢٢٢ •

(٨٠) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين ، القاهرة هجر
للطباعة والنشر ١٩٨٧ ص ١٠ ، ٩ •

والجدير بالذكر أن هذا اللون من التطرف المدينى ليس بجديد على التاريخ الاسلامى ولا تاريخ البشرية وان هذه الفتنة ليست الفتنة الأولى عن المهدي فقد اطلق المختار بن أبى عبيد الثقفى لقب المهدي على محمد بن الحنفية وبقيت هذه الفكرة بعد هلاك المختار حيث تلقفها الشيعة والعباسيون والاسماعيليون والخلفاء الفاطميون والقرامطة الذين داهموا مكة وفتكوا بالحجاج فتكا ذريعا •

ولم يتوقف الأمر على ذلك بل ابتلى العالم الاسلامى بمدعى المهديّة فى العصر الحديث مما جر على الاسلام والمسلمين العديد من النكبات والويلات^(٨١) •

ومما سبق يتضح أن هذه الطغمة غير المسئولة التى حاولت تقويض أمن بيت الله الحرام لم تتمكن من تحقيق مأربها لأن الله تعالى يأبى أن يقوض أمن بيته وأمر عباده الصالحين أن يطهروا بيته للطائفين والركع السجود ، وجعل الأمن والاطمئنان لمن يؤم هذا المسجد فى أى وقت • فعاد الحرم المكى الشريف آمنا مطمئنا بعد قطع دابر الشر والفتنة •

(٨١) عن تفاصيل ذلك انظر ما كتبه ابراهيم الجبهانى تحت عنوان بحث فى أمر المهدي المنتظر ضمن كتاب وتموت الفتنة ص ٢٧٢ — ٢٧٥ •

أحداث حج ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م

فى يوم الجمعة السادس من ذى الحجة ١٤٠٧ هـ الموافق ٣١ من يوليو ١٩٨٧م فجع المسلمون فى كل مكان بصادث جلال أدى الى حالة من الغضب والفرع بينهم فقد دبّر اتباع خمينى مسيرة صاخبة امام ساحة الحرم المكى ثم طوروها عمدا الى شغب وهرج بغية احداث فتنة بين الحجيج الامنين ، وقام هؤلاء بتوزيع منشورات مهيجة للشر والفتنة بهدف تحويل الحج الى ساحة للصراع العاصف والتخطيط المبيت^(٨٢) كما أوصدت هذه المجموعة منافذ الطرقات وعرقلت مسالك المرور ، وحالت دون تمكن الحجاج والمواطنين من مراعاة شئونهم ، وافسدت على الطائفين والقائمين عبادتهم فى المسجد الحرام^(٨٣) .

واتجه الايرانيون الى الحرم حاملين لصور الخومينى هاتفين « خومينى أكبر » الله أكبر « كما رفعوا شعارات ليست من الاسلام فى شىء منها الهتاف بالبراءة من

(٨٢) الشرق : العدد ٤٢٧ فى السبت ٢ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ

(٨٣) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين : مقال للدكتور عبد الرحمن الصالحى تحت عنوان أحداث مكة والرأى العام المصرى ص ١٤٢ .

المشركين ^(٨٤) ومنها محاولة نشر افكارهم المذهبية والسياسية ، واثارة الفتنة ، وزعزعة الاستقرار بين ضيوف الرحمن ^(٨٥) يضاف الى ذلك حملهم للمدى والخناجر لترويع حجيج بيت الله الحرام .

وخشية من عواقب تطور الأمور التزمت الشرطة السعودية فى بداية الامر بضبط النفس ، تفاديا لوقوع مجزرة واحتراما لحجيج بيت الله الحرام ، وذلك بعدم الاحتكاك بالمسيرة الايرانية ، وتحذير افرادها من مغبة تظاهروهم ، وضرورة توفير الهدوء للحجاج وهم يؤدون مناسكهم ولكن مدبرى الفتنة لم يقتنعوا بذلك بل أخذوا فى مهاجمة رجال الشرطة السعودية بالخناجر والسكاكين التى كانوا يخفونها معهم ، كما بدأوا فى تحطيم بعض السيارات والمتاجر ^(٨٦) وتخريب كل ما يستطيعون تخريبه وأمام تصدى الشرطة لهم اندفعوا نحو الخلف بجموعهم المكثفة .

(٨٤) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين : مقال للدكتور محمد السعيد عبد المؤمن تحت عنوان « الاعتداءات الصفوية على الحرم المكى » ص ٥٩ .

(٨٥) الشرق : العدد ٤٢١ فى ١٩ محرم ١٤٠٨ هـ ص ١٩ .

(٨٦) أحمد شلبى : حركات فارسية مدمرة ضد الاسلام

والمسلمين عبر العصور ص ٢٠٧ .

ووسط هذا الاحتكاك والتراجع سقط عدد من القتلى أكثرهم من النساء والأطفال والكهول الذين داسهم المتظاهرون .

ونتج عن ذلك مقتل ٤٠٢ شخصا منهم ٨٥ من رجال الأمن والمواطنين السعوديين (٨٧) وجرح العديد من المتظاهرين (٨٨) .

وهكذا تسبب الإيرانيون فى ازهاق ارواح بريئة على أظهر بقعة خلقها الله تعالى . والى أن تقوم الساعة ، واعادوا بذلك تاريخ القرامطة فى ظل تشجيع واغراء آيات ايران الذين أكدوا من خلال دستورهم أن المذهب الشيعى الاثناعشرى هو المذهب الرسمى لبلادهم فى محاولة لاهياء الفكر الصفوى بكل أبعاده واتجاهاته ، والذين كانوا التلاميذ النجباء لأحد علمائه وهو محمد باقر المجلسى شيخ الاسلام فى عهد الصفويين وصاحب موسوعة « بحار الانوار » وأذى ينطلق فى تصوره الى أن الحج مناسبة سياسية هامة

(٨٧) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال للدكتور عبد المنعم النمر تحت عنوان « الحرم المكى بين قرامطة الأمس واليوم » ص ٢٦ .

(٨٨) أحمد شلبى : المرجع السابق ص ٢٠٧ .

دون مراعاة لحرمتها ، وهو يؤكد ما ذهب اليه أحد الكتاب المعاصرين من الشيعة الاسماعيلية والذي يفصح عن رأيهم فى أن تعظيم الكعبة هو استمرار لعبادة الاصنام وان توجه المسلمين للكعبة فى صلواتهم الخمس يعتبر من عبادة الاوثان •

ونتيجة لهذا الموقف المأسوى الذى استهدف ضرب وحدة المسلمين وانتهاك حرمة بيت الله الحرام استنكرت الحكومات والشعوب الاسلامية ما أحدثه الحجاج الايرانيون من عبث وفوضى ، ووقفوا يساندون جهود الملكة فى توفير ما يهيم لجميع المسلمين سبل الحج الى بيت الله الحرام بأمان وسلام •

والجدير بالذكر أن ما أحدثه الايرانيون من عدوان على حرم الله قد خرج على نظم دولة تضطلع بمسئولية خدمة الحرمين الشريفين وهى الملكة العربية السعودية وحاول انتهاك سيادتها ، وكان من مقتضى مسؤوليتها أن تؤدب العابثين بحرمت الله خصوصا وانها مسئولة عن سلامة مئات الالوف من الحجاج فى العالم الاسلامى كله (٨٩) •

(٨٩) مؤتمر قدسية الحرمين الشريفين مقال للدكتور عبد الله التركي تحت عنوان « قدسية الحرمين » ص ٩ — ١١ •

ولنا أن نتساءل هل كانت هذه هي المرة الأولى التي حاول فيها الحجاج الإيرانيون تعكير صفو الحج الى بيت الله الحرام أم أن لهم سوابق أخرى ؟

والواقع أنه منذ قيام الثورة الإيرانية ، واتباع خوميني يحاولون تعكير صفو الحجاج ففي عام ١٤٠٠ هـ قام بعض الحجاج الإيرانيين بالاعتصام بالكعبة ، والمهتاف ببعض الهتافات العدائية وفي عام ١٤٠١ هـ نظم الحجاج الإيرانيون مظاهرة في المسجد النبوي ، وحاول بعضهم التظاهر في مكة المكرمة مما اضطر السلطات السعودية الى ابعاد مسئول الحج الإيراني « حجة الله موسى » ومعه ١٤٠ من أعوانه •

وفي عام ١٤٠٢ هـ تظاهرت مجموعة من الحجاج الإيرانيين امام المسجد النبوي ، ورددوا هتافات بعد صلاة عصر العشرين من ذي القعدة رافعين صور الخوميني^(٩٠) ، وفي عام ١٤٠٣ قام الحجاج الإيرانيون بمظاهرات صاخبة اصطدموا خلالها بالشرطة السعودية •

(٩٠) مؤتمر قدسية الحرمين : مقال الدكتور الصالحى السابق الذكر ص ١٤٤ •

وفى عام ١٤٠٤ هـ قام الحجاج الايرانيون بالتحرش
بالحجاج العراقيين فى محاولة لاشعال نار الفتنة وتقويض
أمن الحجيج •

وفى عام ١٤٠٥ هـ نظم الحجاج الايرانيون مظاهرة
هدفوا من ورائها قراءة رسالة من الخومينى الى الحجاج
المسلمين •

وفى عام ١٤٠٦ م تصاعدت الامور بقيام ايران
بارسال متفجرات وضعت فى جيوب سرية بحقائب بعض
الحجاج الايرانيين بغرض احداث القلاقل فى البلد الحرام^(٩١)
وبالرغم من ذلك فقد سكتت السعودية على ما حدث بعد
ضبطها لهذه المتفجرات ، ولم تقم بتصعيد الموقف ،
وصدرت تعليمات خادى الحرمين الشريفين بعدم اشارة
المسألة^(٩٢) وترك الحجاج الذين حملوا المتفجرات يحجون
ويعودون الى بلادهم سالمين ، ولكن لما بلغت المأساة ذروتها
الى حد لا يمكن السكوت عليه كان لابد من وقفة تحافظ
فيها المملكة على ضيوف الرحمن وعلى سلامة المسجد
الحرام ومكة المكرمة وعلى كل حال فقد استنكر علماء

(٩١) شلبى : حركات فارسية ص ٢٠٥ — ٢٠٦ •

(٩٢) شلبى : المرجع السابق ص ٢٠٦ •

المسلمين في مؤتمرهم العالمي الثالث الذي عقد بمكة المكرمة محاولة افساد موسم الحج وترويع الحجاج الامنين ، واشادوا بجهود المملكة في افضال ما كان النظام الايراني يبيت القيام به ، واعلنوا عن دعمهم الكامل لما قامت به المملكة من اجراءات لوأد الفتنة ومعالجتها للموقف وطالب علماء المسلمين أن توقف الدول الاسلامية من نظام الارهاب في ايران وقفة شجاعة ، حتى توقف مثل هذه الاعمال الارهابية عند حدها وأكدوا على أهمية تنزيه الحج كفريضة مقدسة من أي لغو أو فسوق أو جدال فضلا عن الهتافات السياسية التي لا يقرها الشرع الاسلامي الحنيف (٩٣) .

ولما اجتمع العالم الاسلامي في مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذي عقد في العاصمة الاردنية عمان على تحديد نسب الحجاج نظرا للمشروعات العمرانية التي تواصل حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبد العزيز اداؤها ابتغاء مرضاة الله لجأت ايران الى منع الايرانيين من الحج في موسم عام ١٤٠٨ هـ ، وتكرر ذلك في عام ١٤٠٩ هـ ثم في عام ١٤١٠ هـ .

وعلى الرغم من أن المملكة العربية السعودية عبرت عن

حسن نواياها تجاه جمهورية ايران والشعب الايرانى،
ورحبت بمجىء الحجاج الايرانيين مثلهم مثل باقى المسلمين
من شتى انحاء العالم الاسلامى فى نطاق ما اتفق
عليه فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية من حيث
نسب الحجاج المقررة لكل دولة^(٩٤) ، وعلى الرغم من أن من
يمنع الحجاج من تأدية الفريضة يعد صدا عن ذكر الله ،
وحسباً لمسلمين يريدون أن يؤدوا فريضة الحج ، ومن
يمنع مسلماً عن اداء الفريضة فحسابه شديد ووزره كبير
خصوصاً وانه يقوم بتعطيل أحد أركان الاسلام الخمسة،
فان الحكومة الايرانية أصرت على منع مسلمى ايران من
فريضة الحج ، وتطالب برفع شعار البراءة لاغراضها
السياسية مع أن فريضة الحج تدعو المسلمين الى السكينة
والالتزام ، وكما قال تعالى « لا رفث ولا فسوق ولا جدال
فى الحج » ومن أراد الحج يجب عليه السكينة لاداء الشعيرة
المقدسة ، ومراعاة مشاعر الحجاج دون ازعاج^(٩٥) .

ولم تقتصر الحكومة الايرانية على ذلك بل ظلت الأيدى

(٩٤) عكاظ فى ٧ ذى القعدة ١٤١٠ هـ حديث للأمير أحمد بن
عبد العزيز تحت عنوان « الملكة ترحب بالحجاج الايرانيين فى
نطاق قرار مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية » .

(٩٥) عكاظ فى ٧ ذى القعدة ١٤١٠ هـ .

القرمطية تدبر للاساءة الى الحرم المكي الشريف مستعينة
فى ذلك بمجموعة مارقة عن الدين وصلت الى مكة وقامت
بعدوان باطنى جديد استهدف الحرم الشريف ، وروع
الحجاج وأساء الى المسلمين فى كل أقطار الدنيا •

وكان هذا العمل المشين من حكومة ايران قد قوبل
بالاستنكار من العالم الاسلامى الذى أشاد بجهود
حكومة المملكة العربية السعودية فى القضاء على تلك
الشذمة الباغية ، وأيدت حكومة خادم الحرمين الشريفين
فيما تتخذه لحماية الحرمين الشريفين ، وما تملكه من حق
فى ذلك •

فالمملكة العربية السعودية تستشعر عظم المسؤولية
نحو الحرمين الشريفين ، وبدافع هذا الشعور خدمت
الحرمين للشريفين خدمتهما توسعة واعمارا وخدمتهما
بتيسير كل ما يحتاجه الحاج والمعتمر ، وخدمتهما بتوفير
أمن الطريق اليهما ، وأمن أداء المناسك والزيارة فيهما ، وكان
قادة المملكة ولا يزالون يعدون ذلك أشرف رسالة يحملونها
قائدا بعد قائد •

قال الملك عبد العزيز آل سعود وهو يطمئن العالم
الاسلامى الى أن مقلد الحرمين الشريفين قد آلت الى

يد أمينة » لقد قضينا على الظلم ، ونشرنا العدل فى ربوع البلاد ، وليس أشهى الى قلوبنا من اقبال المسلمين على الحج من جميع انحاء العالم الاسلامى .. الطرق مفتوحة .. ولن يتعرض أحد لكم بسوء ، فاطمئنوا كل الاطمئنان ، ونحن أنفسنا سنذهب الى مكة لنجتمع بالوفود الاسلامية ، ونرحب بها . وقد آلبنا على أنفسنا أن نعيد للحج ازدهاره ومجده القديم كما قال « اننا أنا واسرتى ، وشعبى وجندى جند من جنود الله يسعى لخير المسلمين ، ولتأمين راحة الوافدين الى بيت الله الحرام » (٩٦) .

وقال خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز « الحمد لله الذى وهبنا من لدنه نعمة الحياة والجوار فى كتف البلد الامن والحرم الامن ، وجعل خدمة الحرمين الشريفين ، وخدمة الحجاج والعمار والزوار أعظم مسئوليتنا وأسمائها وأشرفها » .

ان السعوديين يدفعون بحزم كل أذى عن الحرمين الشريفين ، وهم مستنفرون دوما لبذل النفس والولد فى

(٩٦) الحرس الوطنى : ذو الحجة ١٤٠٤ هـ / سبتمبر ١٩٨٤ م
ص ٨ تحت عنوان نص الخطاب التاريخى لجلالة الملك عبد العزيز
ابن عبد الرحمن آل سعود فى وفود الحجيج منذ خمسين عاما .

سبيل الحفاظ على مقدسات الاسلام فى مكة المكرمة
والمدينة المنورة • ولقد عرف العالم الاسلامى ما يقومون
به من واجبات جليلة فالتف حولهم بالمساندة الفكرية
والادبية ، ولقد تمثل ذلك فى التأييد الجماعى فى المؤتمرات
والندوات والمراسلات على مستوى الشعوب والحكومات
الاسلامية •

وقد أكد المسئولون فى المملكة العربية السعودية أنهم
سيضربون بيد من حديد على يد أى عابث يريد العبث
بأمن حجاج بيت الله الحرام من أى جهة كانت (٩٧) •

والسؤال المطروح هو اذا كانت الاماكن الاسلامية
المقدسة قد تعرضت للعديد من الاعتداءات من جانب بعض
الموتورين فهل اقتصر أمر ذلك على الاماكن الدينية الاسلامية
فحسب أم أن هناك اعتداءات حدثت على كنائس وأديرة
النصارى من النصارى أنفسهم •

الواقع أن التاريخ يوضح لنا أن الامر لم يقتصر
على المقدسات الاسلامية بل كان هناك العديد من

(٩٧) اليمامة : العدد ٩٩٢ فى الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة
١٤٠٨هـ حديث للأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية •

الاعتداءات قام بها بعض النصارى على الكنائس والاديرة
والامثلة على ذلك متعددة نذكر منها :

١ — خلال ثورة « مارتن لوثر » فى ألمانيا ضد مفاسد
الكنيسة ودعوته الى المذهب البروتستانتي قام بعض
الاهالى بمهاجمة الكنائس والاديرة ودمروا ما بها من
تماثيل ونفائس : وطرّدوا الرهبان من الاديرة (٩٨) .

٢ — عندما جاءت الحملة الفرنسية على مصر فى
عام ١٢١٣ هـ ١٧٩٨ م قام الفرنسيون بهدم الاديرة
والكنائس الارثوذكسية فى الاسكندرية ورشيد ، كما قاموا
بهدم اديرة الروم وقتلوا رهبانها من أجل الظهور بمظهر
المدافع عن الاسلام (٩٩) ، ولكن ذلك لم يستمر طويلا
فسرعان ما كشف بونابرت القناع عن نفسه وظهرت كراهيته
للاسلام والمسلمين واضحة للعيان خصوصا بعد دخول

(٩٨) عبد الحميد البطريق : تاريخ أوروبا من عصر النهضة
الى مؤتمر فينا ، الرياض ، مطابع جامعة الرياض
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ص ٤ .

(٩٩) حولى كلية التربية بالفيوم : العدد الثانى ، الجزء
الاول ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م دراسة للدكتور عبد الله عزيباوى تحت
عنوان « الحملة الفرنسية على مصر والشام فى ضوء الوثائق
التركية » ص ١٩٥ — ١٩٨ .

قواته الازهر بخيولهم وتمزيقهم المصاحف والاعتداء على
المصلين ، ومما يؤكد علمانية بونابرت وكراهيته للنصرانية
أيضا وعدم تمسكه بأى دين رسمى ، قيامه بسجن بابا
روما الذى يعتبر الشخصية الأولى لدى النصارى الكاثوليك
وهو البابا بيوس الثانى دون أن يأبه لشعور النصارى
أو غضبهم مما هز شعور العالم الكاثوليكي بهزة عنيفة من
الاعماق وأضاع هيبة الكرسي البابوى والتقاليد
الرومانية (١٠٠) .

(١٠٠) هـ. فشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث
١٧٨٩ / ١٩٥٠ القاهرة ، دار المعارف ص ٨٥ .

الخاتمة

وبعد هذا العرض التاريخي الذي طوف بنا حول كافة العصور ، وتعرضنا من خلاله للاعتداءات المتكررة على الحرمين الشريفين خلال العصور القديمة والوسطية والحديثة يتضح ما يلي :

١ - ان كل البغاة المفسدين الذين حاولوا النيل من قدسية الحرمين الشريفين قد أذلهم الله وصب عليهم الخزي والعار أمام المسلمين خصوصا وأن للبيت رب يحميه ، وان كل حرب مع الله تكون خاسرة « ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

٢ - ان امر الاعتداءات على الحرمين الشريفين لم يقتصر على اليهود والنصارى بل امتد الى القرامطة والشيعة الفرس والحاquدين على الاسلام .

٣ - ان أعداء الاسلام الذين يتربصون الدوائر بمقدسات المسلمين دائما ما يستغلون فرص انقسام المسلمين لتنفيذ مآربهم .

٤ — ضرورة الوعى بالاطار المتربصة بالمقدسات الاسلامية ، والاخذ على يد كل من تسول له نفسه العبث بحرماتها حتى يتم وأد الفتنة ، وتتوقف محاولات اثاره الفتنة بين المسلمين وزعزعة الاستقرار بينهم •

٥ — ان أمر الاعتداء على الاماكن الدينية لم تقتصر على الاماكن الاسلامية المقدسة فحسب بل اتجه ايضا الى الاعتداءات على كنائس وأديرة النصارى ورهبانهم •

٦ — ان جهود النصارى واليهود مازالت مستمرة من أجل أهانة المسلمين فى مقدساتهم ويؤكد ذلك ما ذكره المنصر الأمريكى روبرت ماكس بأن جهودهم لم تتوقف فى تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب فى سماء مكة ، ويقام قداس الاحد بالمدينة ^(١) وما كتبه اليهودى بن هيجن فى جريدة النيويورك تايمز فى انه لا سبيل للتفاهم مع العرب الا باعداد حملة يهودية لاحتلال المدينة •

٧ — ان تضامن وتكاتف العالم الاسلامى هو السبيل الوحيد للوقوف فى وجه أعداء الاسلام ، ومواجهة الغزو

(١) عبد الودود شلبى : الزحف الى مكة ، القاهرة ، الزهراء للاعلام العربى ، الطبعة الاولى ١٤٠٩ هـ ص ١٣ •

الفكرى والثقافى للمجتمعات الاسلاميه ، والدفاع عن مقدسات المسلمين .

٨ — ان جهود حكومة المملكة العربية السعودية المتواصلة لتقديم الخدمات الكاملة لضيوف الرحمن ، والمشروعات العمرانية الضخمة فى الحرمين الشريفين تقابل من المسلمين فى شتى انحاء الارض بالتقدير والعرفان .

مَلَا حَقُّ الْكِتَابِ

- ١ - ذكر دخول القرامطة مكة •
- ٢ - القبض على جوآسيس من الافرنج فى مكة المكرمة •
- ٣ - نص بيان المؤتمر الاسلامى العالمى الثالث •

ملحق رقم (١)

ذكر دخول القرامطة مكة^(١)

ومما ينبغي ذكره هنا دخول أبى طاهر القرمطى سنة سبع عشر وثلاثمائة وقتله الحجاج ونهبه الاموال لأن هذه الحادثة من الحوادث الفظيعة والوقائع الشنيعة التى ما أصيب أهل الاسلام بمثلها ... ففى أواخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة لم يشعر الحجاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطى فى عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ، ووضعوا السيف فى الطائفين والمصلين والمحرمين الى أن قتلوا فى المسجد الحرام وفى مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها ، وركض عند الكعبة أبو طاهر بسيفه مشهورا فى يده قتل وهو سكران

(١) المصدر : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام

وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج
يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تتوشهم الى أن قتل
فى المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف ، وكان ممن يطوف
شيخ الصوفية فى ذلك الوقت الشيخ على بابويه ولم يقطع
طوافه وجعل يقول منشدا :

ترى المحبين صرعى فى ديارهم

كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

والسيوف تقفوه الى أن سقط ميتا رحمه الله تعالى
وملئوا برؤوس الشهداء بثر زمزم وما بمكة من آبار ، وحفر
ودفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة وطلع أبو طاهر
الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب
أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا وصاح فى
الحجاج وهو على فرسه يقول يا حميز أنتم تقولون ومن
دخله كان آمنا فأين الأمان وقد فعلنا ما فعلنا فأخذ شخص
بلجام فرسه وكان قد استسلم للقتل وقال له ليس معنى
الآية الشريفة ما ذكرت وانما معناها من دخله فأمناه فلو
أبو طاهر عنان فرسه ولم يلتفت اليه وصانه الله ببركة بذل

تفسه فى سبيل الله للرد على هذا الكافر أخزاه الله تعالى وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فأطلع قرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبى قبيس فما أخطأ نحره وخر ميتا ، وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقلل اتركوه حتى يأتى صاحبه يعنى المهدي الذى يزعم أنه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب، والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسين بن أحمد الجارودى الهروى أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلق باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب البيت الحرام ، وقتلوا أيضا أئمة الفقهاء الجعفرية الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعى ، والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوى وشيخ الصوفية على بن بامويه كما تقدم والشيخ محمد بن خالد بن يزيد البردعى نزيل مكة وجماعة كثيرين من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ونهبت أموالهم ، وسبيت نساؤهم وذرايرهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهل مكة وغيرها الا من اختفى فى الجبال ومن هرب من مكة يومئذ قاضيا يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشى مع عياله الى وادى رهبان

ونهب القرامطة من داره وثيابه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار كما فى تاريخ القرطبى فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهب دور أهل مكة الى أن صار الباقي ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون الناس ولم يحج فى هذا العام أحد ، ولا وقف بعرفة الا قدر يسير فادوا بأنفسهم وسمحوا بأرواحهم فوقفوا به بلا امام وأتموا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وحليها وماكان فيها من الأموال ، فجمع الجميع مع ما نهبه من أموال الحجاج وقسمه على أصحابه ، وعرى البيت وانتزع ثوبه وقسمه بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذى فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام فلم يظفر به لأن سدنة الكعبة الشريفة غيبوه ففى بعض شعاب مكة وتآلم لذلك ، واستدعى بجعفر بن أبى علاج البنا وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربعة عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ذلك العام وصار بزندقته يقول أخزاه الله تعالى :

فلر كان هذا البيت لله ربنا

لصب علينا النار من فوقنا صبا

لأننا حججنا حجة جاهلية

محلة لم نبق شرقا ولا غربا

وانا تركنا بين زمزم والصفاء

جناز لا تبغى سوى ربها ربا

وقل ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلد هجر وحمل معه الحجر الأسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذى سماه دار الهجرة وعلقه فى الاسطوانة السابعة مما يلى صحن الجامع من الجانب الغربى من المسجد المذكور وبقي موضع الحجر الأسود من البيت الشريف خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركا بمحله ، وفى تاريخ الخميس أن أبا طاهر القرمطى دخل مكة باناس قلائل نحو سبعمائة فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وانفاذا لما أراده سبحانه وتعالى والله غالب على أمره فسبحان من لا يسئل عما يفعل ولا راد لما قضاه سبحانه وتعالى ثم أن الفاجر أبا طاهر القرمطى أراد أن يخطب لعبيد المهدي أو الخلفاء العبيدين ويقال لهم الفاطميون وهم الذين ملكوا المغرب ومصر وكان هذا الأمر أول ظهور عبيد الله المهدي فبلغ عبيد الله المذكور

ذلك فكتب اليه أن أعجب العجب ارسالك بكتبك اليينا ههنا
بما ارتكبت فى بلد الله الأمين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام
الذى لم يزل محترما فى الجاهلية والاسلام ، سفكت فيه
دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرات
على بيت الله تعالى وقلعت الخجر الأسود الذى هو يمين الله
فى الأرض يصافح به عباده وحملته الى منزلك ورجوت
أن أشرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والاسلام على من
سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم فى يوم ما ينحر به فى
غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبى طاهر وعلم
ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم اثنين وعشرين
سنة يستجلبون به الناس طمعنا الى أن يتحول الحج الى
بلدتهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة سيدنا محمد عليه
أفضل الصلاة والسلام وهذه مصيبة من أعظم مصائب
الاسلام وأشدھن فى الدين من أولئك الكفرة اللئام المالحدين
ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها فى الحاضر والباد الى أن
دمر الله تلك الطائفة القاهرة وابتلى أبو طاهر النجس فرماه
الله بالآكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال
عذابه ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء
فى الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ، ولما يؤست القرامطة

من تحويل الحج الى هجر ردوا الحجر الأسود الى محله
فى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاء به سنبر بن الحسن
القرمطى فى يوم النحر عاشر ذى الحجة من السنة المذكورة
فلما صار بفناء الكعبة حضر أمير مكة أبو جعفر محمد بن
الحسن فأخرجوا سفطا فيه الحجر الأسود وعليه ضباب من
فضة فى طوله وعرضه لضبط شقوق حدثت فيه بعد قلعه
وأحضروا جصا يشد به فوضع حسن بن المروق البنا الحجر
فى مكانه الذى قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه
يقدره الله وأعدناه بمشيئته • وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر،
ونظر الناس الى الحجر وقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى
وحضر ذلك الشيخ محمد بن نافع الخزاعى ونظر الى الحجر
الأسود وتأمله فاذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره
أبيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة الشيخ محمد بن
عبد الملك بن صفوان الأندلسى، وشهد رد الحجر الى مكانه ،
ولما أعيد الحجر الأسود الى مكة حمل على قعود هزيل
فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون بعيرا وتلك من
آيات الله فى الحجر الشريف وكانت مدة استمراره عند
القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام ، وكان المنصور

ابن القائم بن المهدي العبيدي أرسل لأحمد بن أبي سعيد
القرمطي أخى أبي طاهر بخمسين ألف ذهب فى الحجر الأسود
ليرده فلم يفعل ، وبذل بجكم التركى مدبر الخلافة ببغداد
خمسين ألف دينار للمقراطة على رد الحجر الأسود فأبوا
وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى
رده على الوجه الذى ذكرناه •

ملحق رقم (٢)

التقبض على جواسيس من الافرنج فى مكة المكرمة (١) :

فى جمادى الآخر سنة ٩١٦ جاءت الأخبار من مكة بأن الشريف بركات أمير مكة قبض على ثلاثة أنفار من الافرنج دخلوا الى مكة وهم فى زى الاروام فلما قبض عليهم وجددهم بغير ختان فتحقق أنهم فرنج وانهم جواسيس (٢) عند بعض ملوك الافرنج فقبض عليهم ، ووضعهم فى الحديد ، وبعث بهم الى السلطان (٣) .

(١) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ج ٤ القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م ، ص ١٩١ .

(٢) فى الأصل دواسيس .

(٣) يقصد السلطان الفورى ، ويذكر الدكتور الشناوى انه باستجواب المقبوض عليهم اتضح انهم جواسيس برتغاليون بيعت بهم سلطات لشبونة ليعملوا ادلاء للجيش البرتغالى الصليبي عن دخوله مكة لهدم الكعبة المشرفة ثم مواصلة الزحف منها الى المدينة المنورة لنبش قبر الرسول عليه السلام ، ومواصلة الزحف بعد ذلك الى تبوك وصولا الى بيت المقدس حيث المسجد الاقصى وقبة الصخرة .

انظر الدولة العثمانية دولة اسلامية مفتري عليها ج ٢ ، القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ ص ٦٩٨ .

ملحق رقم (٣)

نص بيان المؤتمر الاسلامى العالمى الثالث^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

فى السادس من ذى الحجة ، من حج عام ١٤٠٧ هـ فجمع
أهل القبلة فى كل مكان ، بحادث جلل لم يشهد له تاريخ
الحج نظيرا •

فقد دبر اتباع خمينى ،الذين من المفترض أنهم أتوا
للحج والتجرد لعبادة الله ، وذكره ،مسيرة صاخبة طوروها
عمدا ، الى شغب وهرج ، ثم الى عدوان معين على رجال
الأمن السعوديين ، وعلى الحجاج ، من كل جنس ، ممن
توافق وجهودهم مع وجود المسيرة المهتاجة ، فى ذات
المكان •

وكان من المحتمل ، تفسير ما حدث ، بأنه عمل استقلت
به طائفة من الحجاج الايرانيين ، دون رضى ، وبلا اذن من

(١) الشرق فى الثامن من ربيع الأول ١٤٠٨ هـ .

القيادة الايرانية فى طهران ، بيد أن المنشورات الخومينية التى سبقت تلك الأعمال ، المهيجة للشر ، والفتنة ، والتى تحمل بلفظها ، ومعناها فكرا تحريزيا سافرا ، يستهدف تحويل الحج الى ساحة للصراع العاصف والتخطيط المبيت الذى تبدى فى وسائل وأساليب ، وتحرك المشاركين ، فى تلك المسيرة ، والتبنى الفكرى والاعلامى والسياسى ، من قبل النظام الايرانى ، لأعمال الفتنة والعنف فى الحج •

كل ذلك يثبت أن النظام الايرانى ، قد خطط لهذا العمل ، ورضى به ، وتبناه ، وباهى به •

وازاء ذلك كله ، يعلن العلماء والدعاة الذين انتظم عقدهم فى مكة المكرمة ، فى المؤتمر الثالث للدعوة الاسلامية الذى نظمته رابطة العالم الاسلامى •

١ — أن النظام الايرانى بقيادة خمينى يتحمل وحده جريرة الشغب ، والمهرج ، والفتنة ، والعنف فى الحج ، ويحمل وحده وزر الظلم فى حرم الله ، والتسبب فى ترويع المؤمنين والمؤمنات من حبيج العالم الاسلامى •

٢ — أن هذا العمل الظلوم ، الاثم ، جزء من سلوك النظام الايرانى الحالى ، فقد مرد هذا النظام على الارهاب والولوغ فى الدم المسلم منذ أن قام والى يوم الناس هذا •

٣ — ليس لأحد أن يفسر فريضة الحج على هواه ،
ويتخذ بناء على هذا التفسير ، من موسم الحج ، ساحة
للصراعات السياسية والمعارك الطائفية •

٤ — أن ما قامت به المملكة العربية السعودية من
اجراءات لقمع الفتنة ، واخماد نيران الشر ، هو عمل
مشروع تثاب عليه عند الله ، ويشكرها عليه المسلمون •

٥ — أن أجماع المسلمين قادتهم وعلمائهم ، وشعوبهم ،
على ادانة النظام الايرانى مبنى على :

أ — ما وقر فى قلب كل مؤمن ومؤمنة ، من تعظيم
لمكة المكرمة ، والاشهر الحرم ، وشعيرة الحج •

ب — وضوح الحقائق ، التى شاهدها الحجاج كافة ،
وأعلنتها سلطات المملكة العربية السعودية •

٦ — أن العلماء والدعاة ، وهم يعلنون ذلك بوضوح
ومصدق ، يعتقدون العزم ، على الوقوف مع المملكة العربية
السعودية بالبرهان العلمى ، والحكم الفقهى ، والحجة
الفكرية ، وهى تؤمن طريق الحج ، ومناسكه ، وهى تدفع
عن مقدسات الاسلام ، وهى تدفع يد الجانى عن الحرم •

٧ — استجابة لقول الله تعالى : « واتقوا فتنة ،
لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة » ♦

واعتبارا بما وقع من فتنة فى الحج على يد من
حرضهم نظام خمينى ، على الافساد فى الحرم ♦

فان العلماء المشتركين فى المؤتمر ، بدافع من الايمان
الراسخ بقدسية الحرمين الشريفين والحج ، وبحافز من
الحرص على سلامة الحج والحجاج ، وبوازع من الحفاظ
على وحدة المسلمين وتماسكهم ، يطالبون حكومة المملكة
العربية السعودية ، أن توفر الامن العام ، للحجاج وتنظيم
سيرهم ، واقامتهم وتنقلاتهم فى المناسك والطرقات
ومخارج المملكة ومداخلها ♦

كما يطالبونها ، باتخاذ الاجراءات الرادعة لمنع
المظاهرات السياسية والشغب الذى يعكر على المسلمين
حجهم ♦

ثبت المصادر والمراجع

أولا المصادر

— القرآن الكريم

اللاتاكي : (جمال الدين أبو المحاسن)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ،
القاهرة ، وزارة الثقافة ، د.ت

ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن)

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، المجلد الثالث ،
القاهرة ، دار الشعب ، د.ت

الأزرقى (أبو الوليد محمد بن عبد الله)

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، بيروت ، دار
الثقافة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

ابن أبي عمير

بدائع الزهور في وقائع الدهور — تحقيق محمد
مصطفى القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

البيهقي (أبو الفضل)

تاريخ البيهقي — ترجمة يحيى الخشاب ، صادق
نشأت بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٨٢ م

الترمذى

تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ج ٧ بيروت دار
الفكر للطباعة والتوزيع

التونسي (محمد يريم الخامس)

صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، المجلد
الثانى ، بيروت ، دار صادر ، د.ت

الجباسر (حمد)

رسائل فى تاريخ المدينة المنورة ، الرياض دار اليمامة
١٩٧٢م

الجبرى (عبد الرحمن حسن)

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ج ٤ ، القاهرة ،
المطبعة العامرة الشرفية ، ١٣٢٢هـ

الحجوى (محمد صالح بن أحمد)

اعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام — تحقيق
اسماعيل أحمد حافظ — مكة ، مطبوعات نادى مكة
الثقافى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م

خياط (خليفة)

تاريخ خليفة بن خياط — تحقيق د. أكرم العمرى —
الرياض ، دار طيبة ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

الدينورى (محمد بن عبد الله)

الامامة والسياسة — تحقيق طه الزينى — الجزء
الثانى بيروت ، دار المعرفة ، د.ت

الذهبي (شمس الدين محمد)

سير أعلام النبلاء ج ٤ ، بيروت ، دار الرسالة
إطبعة الأولى ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

الطبرى (محمد بن جرير)

تاريخ الطبرى - تاريخ الرسل والملوك ، ج ٦ تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم — القاهرة ، دار المعارف
الطبعة الرابعة

أبو الفداء (عماد الدين)

المختصر فى أخبار البشر ، بيروت ، دار المعرفة
د . ت

ابن فهد (عمر)

اتحاد انورى بأخبار أم القرى ج ٣ تحقيق فهم
شلتوت — جدة ، دار المدنى ، ١٩٨٤

ابن قتيبة

المعارف ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ،
١٩٨١

ابن كثير (الحافظ)

البداية والنهاية ج ٢ ، بيروت ، مكتبة المعارف الطبعة
الثالثة ١٩٧٩ م .

المالكى (الحافظ ابن الطبيب الفاسى المكى)

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام — تحقيق لجنة من
كبار العلماء (جزءان) بيروت ، دار الكتب العلمية
د . ت

المسعودى

مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ، تحقيق محمد
محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، المكتبة التجارية
الطبعة الرابعة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م

هارون (عبد السلام)

تهذيب سيرة ابن هشام ، القاهرة ، المؤسسة
العربية الحديثة ، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م

ابو يعقوب (أحمد)

تاريخ اليعقوبى ، ج ١ ، بيروت ، دار بيروت للطبع
والنشر ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

ثانياً - المراجع

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج
ومشاعره الدينية ، القاهرة ، د.ت

أحمد زينى دحلان : خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام
القاهرة ، مكتبة الكليات الازهرية ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

أحمد الساداتى : رضا شاه بهلوى — نهضة ايران الحديثة
القاهرة ، النهضة المصرية ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م

أحمد السباعى : تاريخ مكة ، مطبوعات نادى مكة الثقافى الطبعة
السادسة ١٤٠٤هـ

أحمد الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول القاهرة ،
دار الفكر العربى ، الطبعة الثانية ١٩٦٥

أحمد شلبى : حركات فارسية مدمرة ضد الاسلام والمسلمين
عبر العصور ، القاهرة ، النهضة المصرية ١٩٨٨م

أحمد الشوابكة : حركة الجامعة الاسلامية ، الزرقاء ، الاردن ،
١٤٠٤ هـ

أحمد عبد الغفور عطار : أ — صقر الجزيرة ، المجلد الأول ،
مكة المكرمة الطبعة الخامسة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م والمجلد
الثانى ج ٦ ، بيروت

ب — الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتى
اليوم ، مكة المكرمة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

أحمد عمر الزيلعى : مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ — ٤٨٧ هـ
الرياض ، جامعة الرياض ١٩٨١م

أمين سعيد : أ — تاريخ الدولة السعودية ، المجلد الثانى ،
دار الكاتب العربى

ب — الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته
الحديثة ، بيروت ، دار الكتاب العربى

أمينة الصاوى : الكعبة المعظمة ، القاهرة ، مكتبة الخانجى
١٩٧٦م

بدر الدين الخوصى : دراسات في تاريخ الخيخ العربى الحديث
والمعاصر ، الكويت منشورات دار السلاسل ،
الطبعة الأولى ١٩٧٨م

جريدة الندوة (اعداد) وتموت الفتنة ، جدة ، دار تهامة الطبعة
الأولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

جواد على : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، الجزء ان
الثالث والسادس ، بيروت ، دار العلم للملايين ،
الطبعة الثالثة ١٩٨٠م

أبو الحسن اندوى : كيف ينظر المسلمون الى الحجاز
وجزيرة العرب دار الاعتصام ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م

حسين خلف خزعل : تاريخ الجزيرة العربية فى عصر الشيخ
محمد عبد الوهاب ، بيروت

حسين عبد الله باسلامة : تاريخ عمارة المسجد الحرام ، جدة ،
دار تهامة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

خير الدين الرزكلى : شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز
ج ٢ بيروت ، دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

رابح لطفى جمعة : حالة الامن فى عهد الملك عبد العزيز ،
الرياض دار الملك عبد العزيز — ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

سليمان مالكي : بلاد الحجاز منذ بداية عهد الاشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ١٤٠٣هـ

سيد الدقن : كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ ، القاهرة ، مطبعة الجبلاوى ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م

سيد عبد المجيد : أشهر المساجد في الاسلام ج ١ ، جدة ١٤٠٠هـ

السيد أبو الفضل عوض الله : مكة في عصر ما قبل الاسلام ، الرياض ، دار الملك عبد العزيز ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ/١٩٨٠م

سيد مصطفى سالم : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر ، القاهرة ، ١٩٧٥

صالح لمعي : المدينة المنورة — تطورها العمراني وتراثها المعماري ، بيروت ، النهضة العربية ، ١٩٨١

ضرار صالح ضرار : العرب من معين الى الامويين ، بيروت ، مكتبة الحياة ، الطبعة الرابعة

عائق بن غيث البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، دار مكة ، الطبعة الاولى ١٤٠٢هـ

عبد الله محمد الغريب : وجاء دور المجوس — الأبعاد التاريخية والعقائدية والسياسية للثورة الايرانية القاهرة ، دار الجيل للطباعة ، ١٩٨١م

عبد الحميد البطريق : تاريخ أوروبا من عصر النهضة الى مؤتمر
فينيا ، الرياض ، ١٣٩٨هـ

عبد الرازق أسود : موسوعة الحرب العراقية الايرانية —
المجلد الأول ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات
١٩٨٤م

عبد السلام هاشم حافظ : المدينة المنورة في التاريخ ، دمشق ،
النادى الأدبي بالمدينة المنورة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ
١٩٨٢م

عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى
عليها الجزاء الاول والثانى ، القاهرة ، الانجلو
المصرية ١٩٨٠م

عبد العزيز نوار : الشعوب الاسلامية ، بيروت ، دار النهضة
العربية ١٩٧٣م

عبد المعطى سمسم : العلاقات بين شبه الجزيرة العربية
والحبشة منذ القرن السادس قبل الميلاد وحتى
نهاية العصر الحبشى باليمن ، رسالة ماجستير غير
منشورة ، جامعة أم القرى ١٤١٠هـ

عبد الودود شلبى : الزحف الى مكة — حقائق ووثائق عن
مؤامرة التنصير في العالم الاسلامى القاهرة ،
الزهراء للاعلام العربى ، الطبعة الاولى ١٤٠٩هـ

على حسنى الخربوطلى : تاريخ الكعبة ، بيروت ، دار الجيل
١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ج ٣ ، بيروت ،
مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

فهمى هريدى : ايران من الداخل ، القاهرة ، مركز الاهرام
للترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

فؤاد على رضا : أم القرى — مكة المكرمة ، بيروت ، مكتبة
المعارف ١٩٧٢م

لوثرروب ستودارد : حاضر العالم الاسلامى — ترجمة عجاج
نويهض — المجلد الرابع ، القاهرة ، مكتبة عيسى
البابى الطبى ، ١٣٥٢هـ

محمد احمد الخطيب : الحركات الباطنية فى المعالم الاسلامى ،
عمان ، مكتبة الأقصى ، الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ
١٩٨٤م

محمد اديب غالب : من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجبترى ،
الرياض ، دار اليمامة ، ١٣٩٥هـ

محمد بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ،
الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ،
المكتبة التاريخية (١) الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

محمد الخضرى : تاريخ الامم الاسلامية — الدولة الاموية
ج ١ القاهرة ، المكتبة التجارية ، ١٩٦٩م

محمد طاهر المكي : مقام ابراهيم عليه السلام ، القاهرة ،
البابى الطبى ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م

محمد عبد الله مليبارى (تحقيق وتعليق) المنتقى فى اخبار ام القرى .
مكة المكرمة ، مطابع الصفا ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية ، وخروج الفرنسيين من
مصر القاهرة ، دار الفكر العربى

محمود شاکر : ايران ، بيروت ، المكتب الاسلامى ١٣٩٥هـ

محمود الشرقاوى : مكة المكرمة ، القاهرة ، دار الاسلام
١٩٧٢م

يحيى الدين القاسى (اعداد) ١ — المصحف والسيف — مجموعة
خطابات وكلمات واحاديث ومذكرات الملك عبد العزيز
الرياض ، دار الناصر ، الطبعة الثانية
ب — فهد فى صور ، الرياض ، المطابع الاهلية ،
١٤٠٤هـ

مركز البحوث والدراسات العربية والاسلامية : قدسية الحرمين
الشريفين القاهرة ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة
الاولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

مصطفى رمضان : العالم الاسلامى فى التاريخ الحديث والمعاصر ،
القاهرة ، مطبعة الجبالوى ١٤٠٥هـ

مصطفى غالب : الحركات الباطنية في الاسلام ، بيروت.
دار الكاتب العربى ، د.ت

وزارة الحج والاقواف : افتتاح مصنع كسوة الكعبة المشرفة ببكة
المكرمة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م

ثالثا - الدوريات

حولية كلية التربية بالفيوم العدد الثانى — الجزء الاول ١٤٠٥هـ.

مجلة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية المجلد الاول.
رجب ١٤٠٩هـ فبراير ١٩٨٩م

مجلة الحرس الوطنى : ذو الحجة ١٤٠٤هـ/سبتمبر ١٩٨٤م

مجلة الشرق : صفر ، وربيع الاول ١٤٠٨هـ

مجلة اليمامة : جمادى الاخرة ١٤٠٨هـ

فهرست

الصفحة

مقدمة ٨ — ٥

الفصل الأول

١ الاعتداءات على الحرم المكي قبل الاسلام . . . ٩ — ٢٧

الفصل الثاني

٢ الاعتداءات على الحرمين الشريفين في العصر
الاسلامي ٢٩ — ٦٦

الفصل الثالث

٣ الاعتداءات على الحرمين الشريفين في العصر
الحديث ٦٧ — ١٢٤

٤ الخاتمة ١٢٥ — ١٢٧

٥ الملاحق ١٢٩ — ١٤٤

٦ المصادر والمراجع ١٤٥ — ١٥٥